روايات أحلام

آن ستيفنز

سيّد أحلامي

www.elromancia.com
مرمورية

١٣

روايات أحلام

www.elfarashabooks.com

سيد احلامي - آن ستيفنز

أحياناً تخرج أحلامنا من بين الصفحات الملونة... وتكبر لتملأ حياتنا، ويصير الواقع كله حلماً.

جويس حصلت على الوظيفة - الحلم: مساعدة مدير الرحلات على متن السفينة السياحية «ملكة الكاريبي» التي تنظّم رحلات للركاب الأغنياء بين جزر البحر الكاريبي.

والتقت في السفينة بالرجل - الحلم، وهنا اصطدمت سفينة الأحلام بصخرة الواقع: مايك كان وسيماً ومشهوراً أكثر مما يجب، ولكنه كان أيضاً مغروراً ومتكبراً أكثر مما يجب، وأهانها بأكثر مما يمكن أن تتحمله امرأة.

جويس أقسمت أن تبتعد عن طريقه حتى لو كلّفها ذلك وظيفتها، ولكنها في أشد أحلامها جنوناً لم تكن لتتصور ما الذي يمكن أن يحدث!!.

تصدر عن دار الفراشة

١ - لن تبكي

جلست جويس سوير أمام مرآة طاولة الزينة في مقصورتها، وهي تمسك شارة زرقاء ذهبية على كتفها. تحت اسمها كان مكتوباً على الشارة كلمات «مساعدة مدير الرحلات». كانت قد تقدمت لهذه الوظيفة في الأسبوع الفائت فقط، وهي تدرك أنها مؤهلة لترتيب أمر هبوط على القمر، أكثر من قدرتها على الإشراف على رحلة استجمام اربع مائة من الركاب الأثرياء على متن السفينة الفخمة «ملكة الكاريبي»

كانت قد تقدمت لهذه الوظيفة لإرضاء والدتها، التي شاهدت الإعلان عنها في إحدى صحف ميامي. وكانت جويس مستشارة مخيمات. وكانت تعلّم الفنون والرسم في مخيم صيفي خلال أول سنة لها في الكلية، وكانت السنة الوحيدة. ولم يكن من المفيد إقناع والدتها أن تعليم أولاد في سن العاشرة على الرسم على الورق، ووضع الأقنعة الورقية، لا يشابه أبداً الإشراف على تسلية ركاب على متن سفينة فخمة. وكانت «ملكة الكاريبي» يختاً ضخماً أكثر من أن تكون سفينة تجارية تخوض الكاريبي، فقد كانت مجهزة بأفضل وسائل الراحة، والمطابخ الحديثة، والخدمة والتسلية.

وبطريقة عجيبة، وبعد مقابلة مختصرة مع ستيفن ماركوري، الرجل القلق الأنيق الخمسيني، الذي بدت ابتسامته المحترفة ملتصقة في وجهه مثل شاربه الفضي تم استخدام جويس. تبع هذا اسبوع محموم من تحضير ملابسها ورضيت عن نتيجة ما تسوقته. وبقي هذا الرضى إلى أن رأت الركاب يصعدون الى السفينة في مرفأ جزيرة «دودج» في ميامي. ازياؤهم كان من الواضح أنهم اشتروها من بوتيك فريد من نوعه. والأكثر خيبة لها كان الانطباع بأن المظهر الجديد لها ربما كان يعتبر «أخرقاً» بين النساء اللواتي يستطعن تحمل رحلة على متن «ملكة الكاريبي» فقد بدا الجينز المعتق الزيّ الموحد بينهن، والذي يشير بشكل واضح إلى أن هذه هي الرحلة الأولى المكلفة لهن.

ذعر جويس الفوري حول ملابسها أظهر مخاوفها أكثر من أنها غير مؤهلة لتنظيم نشاطات هذه المجموعة الثرية المثالية. وعندما سألت رئيسها عما هو متوقع منها أن تفعله، تهرّب منها مسرعاً وهو يدّعي بأنه «مشغول. مشغول» وأنه سوف يتحدث معها بعد أن تصبح السفينة في عرض البحر. وقال لها السيد ماركوري:

- تجولي في السفينة.. وقابليني في غرفة جلوس البحارة قبل بدء أول عشاء

وذكّرها بأن عليها أن تدعوه «ستيف» وأن النشرة اليومية ستجيب على العديد من تساؤلاتها، ثم تركها في المكتب الصغير حيث يتم الإشراف على النشاطات.

وحملت جويس النشرة المزينة بشكل جميل إلى مقصورتها. وعلمت منها أن عشاء القبطان الترحيبي بالركاب، بعد الإبحار بوقت قصير سيكون غير رسمي. وكان في النشرة وصف للنزهات

على شاطىء «سان جوان»، فقد كانت وجهتهم الفورية إلى «بورتوريكو» وستتم حفلة الاستقبال عند منتصف هذه الليلة، في غرفة الجلوس الخضراء، المجاورة لقاعة الكازينو.

ودرست كراسة الدعاية للسفينة، ورسم السطح والغرف وأُصيب رأسها بالدوار. فقد كانت «ملكة الكاريبي» أكثر من فندق عائم، كانت مدينة من المحلات التجارية، وغرف الطعام، و«كاباريه» ومرابع الديسكو، وصالونات ضخمة، وبارات، فكيف ستستطيع أن تجد طريقها في هذه السفينة، عدا عن أنها ستكون خبيرة ترشد الآخرين؟

جزء من عمل مدير الرحلة إعطاء محاضرات تصف المرفأ القادم الذي ستزوره السفينة. فكم يا ترى سيستغرقها من وقت لتستطيع مساعدته؟ لم تكن قد زارت من قبل هذه الأماكن الرومانسية على الكاريبي والتي يشملها خط رحلة السفينة. ولكنه مثير التفكير بزيارة الجزر التي كانت تحلم بها: كوراكاو، المارتيني، تورتولا وسان توماس! وأبحرت السفينة مبتعدة عن مرساها، وإحدى فرق الموسيقى الثلاث فيها تعزف الالحان، وبينما كان ساحل فلوريدا يختفي في الغروب، أخذت جويس تراقب المنظر من على السطح، غير قادرة على تصديق أن هذا يحدث لها فعلاً.

والآن، وهي بالكاد تشعر بتحرك السفينة، وضعت جويس النشرة من يدها، وارتدت قميصاً بلون الليمون الأخضر، ووجدت أن يديها ترتجفان عندما بدأت تضع أحمر الشفاه. ارتباكها كان سببه السرور، وضحكت عندما ذكّرت نفسها ان الكثير من أحمر الشفاه قد يزيد بروز فمها، الذي كانت تعتقد أنه كبير جداً. وأن يديها كانتا ترتجفان جداً بحيث أنها لن تستطيع وضع الكحل على عينيها.

www.elromancia.com

وأدركت فجأة أن أول دخول لغرفة الطعام سيكون في السادسة، وأن ربع ساعة فقط تفصلها عن هذا الموعد، فخرجت مسرعة من مقصورتها. كم ستكون بداية جيدة فيما لو تأخرت عن أول لقاء لها مع ستيف ماركوري! وبما أنها لا تملك الخبرة فقد كانت معجزة أن تكون مقبولة وأقل ما يمكن أن تفعله أن تكون من الممكن الاعتماد عليها.

مقصورة جويس كانت في أسفل السفينة، كما أكثر مقصورات طاقم السفينة. وأوصلها مصعد الى الطابق الرابع، ثم سارت عبر ممرات متشابكة مليئة بالسجاد، أحدها كما أملت، سوف يقودها إلى غرفة جلوس البحارة. ووصلت إلى نهاية أحد الممرات لترى لوحة تشير نحو المكان الذي ستقابل فيه ستيف، وكانت تتجه في الاتجاه الخاطىء، وأصبحت قلقة بالفعل من أن تتأخر. وقالت بصوت مرتفع:

- آه.. لا!

واستدارت بحدة كي تسير في الاتجاه المطلوب.. وحدث شيء! فقد اصطدمت بشخص كان يسير وراءها تماماً.

وشهقت جويس للصدمة المفاجئة. وتراجعت بسرعة أمام رجل طويل كان يحمل كأساً طويلاً في يده، وقد اندلقت محتوياته على قميصه الأزرق الناعم. وجمدت جويس مكانها، تحدق في البداية بالبقعة الكبيرة التي جعلت القميص الأزرق يبدو قاتماً، ثم إلى الكأس، وأخيراً بكثير من الإحراج، إلى وجه الرجل. كان وجهاً وسيماً بشكل لا يصدق، ولكن العينان السوداوان نظرتا إلى جويس باشمئزاز. وقبل ان تستطيع الاعتذار، سألها صوت رنان عميق مليء بالسخرية:

- هل تتكلمين دائماً مع نفسك؟ وألا تعطين إشارة عندما تتوقفين فجأة؟

وتجنبت جويس النظرة المزعجة، وأطرقت بنظرها إلى قطع الثلج عند قدميها. وقالت بصوت خافت يكاد لا يصل إلى ما فوق الهمس:

- أنا آسفة.. كثيراً.. لا تستطيع معرفة كم... أنا آسفة جداً!

ونظرت إليه ثانية لتجد عيني الغريب تنظران إليها بتعبير غريب، هو مزيج من الضجر من النساء عموماً، ومنها خصوصاً. ومع ذلك، وبغرابة أكثر، بدا فيهما نوع من الاهتمام. لم يكن أي رجل قد نظر إليها بتعبير جعلها متوترة هكذا. وشعرت بالحرارة القوية تجري في جسدها، وعلمت بالتأكيد أن وجهها قد أصبح بلون الدم. لم تكن في حياتها، ما عدا في مجلات الأفلام، قد نظرت إلى رجل جذاب مثله. ووقف بكل بساطة، ينظر إليها، ولا يقول شيئاً.

وكررت جويس اعتذارها وأردفت متلعثمة:

- شرابك.. سوف أحضر لك واحداً آخر.

- اوه.. أعتقد أن بإمكاني تدبير أمري بنفسي.

وبدا بارداً مثل قطع الثلج التي بقيت في كأسه. وأطرقت جويس وهي تشعر بأنها قريبة من البكاء

- قد جلبت معي كأساً إضافية، لمجرد توقع شيء ما.

- لا يجب أن تكون منزعجاً هكذا، لقد قلت لك بأنني آسفة. من المفترض أن أكون الآن في لقاء في غرفة البحارة..

- وهل ستلتقين برجل.. يبدو أنني أقف في طريقك.

لهجته كانت ساخرة، ولكن جويس لم تكن تنوي أن تشرح له أن موعدها كان مع رئيسها. وأنها قلقة مضطربة لأنها ستتأخر، وأنها محرجة لهذا الحادث، ولكن دون أن يؤثر هذا عليها.

www.elromancia.com

- إذا كنت لا تستطيع قبول الاعتذار كسيد مهذب، إذاً.. أنا... أعتقد أن ليس لديّ أكثر لأقوله.

كانت ترتجف، من الغضب لتصرفات هذا الرجل السيئة، ومن تأثير قربه منها. فحتى بقميصه المبلل المضحك، كانت جاذبية رجولية تنبعث منه جعلتها تشعر بالضعف. واخذت نفساً بصعوبة آملة أن تظهر هادئة ومسيطرة تماماً على نفسها مثل هذا الرجل المثير.

وتفحص قميصه، الذي التصق بصدره العريض... وقال:

- آه.. حسناً.. لقد تصرفتي بطريقة غير عادية للتعرف على غريب.

- إذا كنت تشير إلى أنني... صدمتك متعمدة.. فأنت حقاً مغرور بنفسك. شخص فظ مثلك... صدقني أفعل المستحيل لأتجنبه!

- في هذه الحالة لن تمانعي في أن تتنحي عن طريقي لأذهب إلى جناحي.

وتصاعد اضطراب جويس عندما أدركت أنها تسد طريقه في الممر الضيق. وقبل أن تستطيع التحرك مبتعدة عن طريقه، مدّ يده وأمسك بذراعها، وأزاحهابلطف ولكن بحزم. وابتسم، مظهراً أسنانه البيضاء.

- وربما سنصطدم ببعضنا ثانية قبل انتهاء هذه الرحلة. وأتمنى أن يبقى لديّ ما يكفي من القمصان!

وامتلأت عينا جويس بالدموع، ووقفت خرساء دون حراك بينما شقّ الرجل طريقه في الممر. وكان هناك أكثر من الإحراج

وأكثر من الغضب. كانت لا تزال تشعر بحرارة ضغط يده على ذراعها، وبتحديق عينيه الداكنتين.

وأسرعت وهي تشهق للتنفس، وما زالت منزعجة لتأثير هذا الرجل عليها، إلى غرفة جلوس البحارة الكبيرة. ونظرت من حولها، ورأت ستيف ماركوري يجلس عند طاولة في الزاوية، وأمامه كأس شراب طويل مزين بالفاكهة.

وأخذت تعتذر للمرة الثانية :

- أنا آسفة لتأخري.. لقد اصطدمت بشخص ما..

ووقف ستيف ليرحب بها.. وابتسمت، وهي مسرورة بأن رئيسها لم ينظر إلى ساعته، بل بدا وكأنه في عطلة وأمامه الكثير من الوقت. وقال لها:

- الاصطدام بالناس سيكون جزءاً من عملك.

وابتسم ابتسامته المحترفة المعتادة.. فعمله، كما تذكرت جويس، هو جعل كل من في السفينة سعيداً.

وجلست جويس على الكرسي الذي قدمه لها، وهزت رأسها بالرفض عندما عرض عليها أن تشرب شيئاً.

- ليس أثناء الوظيفة.. لقد واجهني ما يكفي من المصاعب لأتعود على المكان.

- حسناً.. على كل الأحوال، لديّ بضع دقائق فراغ.. وأنا أعلم أنني تجاهلتك كثيراً يا عزيزتي. فلنتحدث.

- لم تقل لي ماذا يفترض بي أن أفعل.

- صحيح.. صحيح.. كل سفينة للرحلات مختلفة عن الأخرى.

وبدا أنه يقصد أن جويس قد عملت على ظهر سفينة

www.elromancia.com

رحلات من قبل. هل نسيّ أنها كانت صادقة معه عندما قالت إنها لم تكن على متن سفينة أكبر من زورق عمها عندما كانت في العاشرة؟

- ابقي في ذهنك أن «ملكة الكاريبي» هي متقدمة أكثر بكثير من السفن الأخرى التي تقطع الكاريبي. فنحن لا نقدم فقط وسائل راحة أكثر فخامة، وطاقم لخدمة الزبائن أفضل، بل أن رحلاتنا تمتد أكثر أيضاً، وهذا أكثر كلفة من أية رحلة عبر الكاريبي متوفرة. وزبائننا يتوقعون الأفضل.

وتابع سرده أفضليات السفينة

- هل تتصورين كم عدد الطهاة والسقاة هنا؟ نحن نقدم إفطاراً باكراً قرب برك السباحة إضافة إلى إفطار أكثر ملائمة في غرفتيّ طعام إضافة إلى حساء في وسط فترة الصباح، وشاي بعد الظهر وعشاء مميز، إضافة إلى حفلة عند منتصف الليل. وهذا لوحده يبقي الركاب مشغولين. كذلك زيارة الشواطىء. وفيما بينها، نحاول أن نتأكد بأن لا يكون هناك لحظة ضجر عند الركاب.

وأكمل احتساء شرابه ثم تابع:

- وتريدين معرفة كيف تستطيعين مساعدتي؟ كبداية يا عزيزتي لا بد أنك لاحظتي أن الركاب الأناث أكثر من الرجال بكثير. . نساء لوحدهن، أرامل ومطلقات. بعضهن يبحثن عن زوج، وبعضهن يسعين وراء المرح. ولكننا نساعدهن في مرحهن، وخاصة على حلبة الرقص. . بإيجاد مراقصين رجال. . صحيح؟

- اعتقد هذا. .

- وهذا يوصلني إلى أكثر ما هو مهم في واجباتك. فمساعدة مدير الرحلات هي ايضاً مضيفة. . وأتوقع منك أن تهتمي بأن يتمتع الجميع بوقته وهو على متن «ملكة الكاريبي»

- ولكنني لا أفهم كيف.

- سوف تهتمين بأن كل رجل غير مرتبط يستطيع المشي والتحرك، سيكون موجوداً عند كل نشاط اجتماعي لنا. في حفلات الكوكتيل، حفلات الرقص، الأحداث الرياضية حتى في لعبة البينغو. . . وبمظهرك الجذاب وأخلاقك الطيبة، أعتقد أنه سيكون سهلاً عليك أن تعطي ضباطنا لائحة بهؤلاء الرجال العزاب غير المرتبطين الموجودين معنا.

- سأبذل جهدي

- طبعاً ستبذلين جهدك. . مساعدتي السابقة هربت مع أحد الموسيقيين خلال عودتنا إلى ميامي دون سابق إنذار، وأتمنى أن لا تفعلي مثلها. أعتقد أنه كان يجب أن أسألك قبل الآن: هل أنت هنا لتستعيدي عافيتك من جراء تحطم قلبك؟ أم أملاً بإيجاد زوج ثري؟

- ولا واحد منهما.

وهز ستيف رأسه مسروراً، ومسح شاربه الفضي، ثم تابع سرد واجباتها عليها، والتي تشمل مناسبات خاصة للمجموعات الدراسية التي هي عادة جزء من كل رحلة.

- اطباء. . . لاعبو غولف. . أعضاء مجموعات الاستجمام. . . كل أنواع المجموعات التي لها اهتمامات خاصة. لديهم عادة برامج خاصة بهم، والتي نحاول أن نتممها. . ونهتم عادة بأن يكون لهم مكان اجتماع خاص بهم، وحفلات خاصة نحاول أيضاً إشراكهم بنشاطات باقي المسافرين. والمجموعتين الكبيرتين في هذه الرحلة ستكونان البداية لك.

وأخبر جويس أن لائحة المسافرين تشمل مجموعة كبيرة من أساتذة الفنون والرسم وبعض المحامين المشهورين.

www.elromancia.com

- المجموعة الأولى كلها نساء... والمحامين.. معظمهم جلب معه زوجته. وهناك عدة محامين غير مرتبطين، على الأقل في هذه الرحلة.. وأحدهم سينضم إلينا الآن.

وتابعت جويس نظر ستيف وحبست أنفاسها. الرجل الطويل الذي تبعت خطواته نظرات كل امرأة في الغرفة، كان الشخص الذي قابلته من قبل. وكان قد غير قميصه الأزرق بقميص بيج، وله قبّة بنية. ولم تكن وسامته فقط هي التي لفتت الانتباه، فقد كانت مشيته واثقة ومتوازنة أيضاً وكأنه يسيطر على الغرفة برمتها، مع أنه بدا أنه لا يلاحظ أحداً فيها..

- جويس؟.. جويس.. مرحباً؟

واعادت انتباهها إلى ستيف وقد أدركت أنه لاحظ قلقها الفجائي.

- آسفة.. كنت فقط...

- تبدين وكأنك قد شاهدت شبحاً

- ليس شبحاً.. ولكن.. شخص اصطدمت به.

- حسناً، أريدك أن تصطدمي به ثانية، وأن تهتمي بتقديمه إلى الجميع

- ولكنني لا أعرف أي واحد من...

- ستتركينهم يقدّمون أنفسهم.. ستقومين بدور الوسيط فقط. والأكثر أهمية سوف تتأكدين من حثّ السيد روبرتس على حضور حفلة الرقص ما بعد عشاء القبطان الليلة.. لقد كنت تسألين أين أنا بحاجة للمساعدة، وها هو المناسب.

- لقد.. ذكرت اسمه.

- طبعاً أليس عليّ أن أخبرك اسمه؟ إنه مايك روبرتس أفضل

محامي دفاع مشهور في الولايات المتحدة؟

- أنا لا أعرف أي محامين، سيد ماركوري. فلم يقاضيني أحد من قبل.

- ولكن لا بد أنك شاهدتيه على التلفزيون؟ وتعرفين كتابه الذي حاز على أفضل المبيعات؟

وشعرت أكثر من أي وقت مضى بأنها ريفية ساذجة، لا مكان لها في هذا العالم المتحذلق، واعترفت بأنها لم تسمع من قبل عن كتاب السيد روبرتس الشهير... وقال ستيف ليريحها:

- حسناً قد يكون هذا في صالحك.. ستكونين مرتاحة أكثر معه إذا لم تكوني متأثرة به. لن يكون للمحامين أي جدول أعمال حتى خطبة روبرتس غداً صباحاً. هل تتصورين كم سيكون لحضوره أهمية في احتفالنا الليلة؟ ستشعر السيدات بأنهن متن وصعدن إلى الجنة. اذهبي وتحدثي معه جويس. هذه أول مهمة لك. وأنا واثق أنه سيكون سعيداً. إنه يبدو كئيباً..

وتركها متذرعاً بموعد له، وانصرف. وعلى الرغم من تصرفاته الودية معها إلا أنه أوضح أنه يتوقع منها أن تفعل ما طلبه منها تماماً. لقد تم استخدامها لأنه كان مضطراً، وبما أنها غير مؤهلة فمن المتوقع ان تبرهن عن أهليتها في هذه الرحلة الأولى لها. وهذا هو التحدي الذي يواجهها.

لم يكن هناك شك بأنها تحت الاختبار، ونظرت جويس إلى الرجل الذي جعلها تضطرب منذ فترة. كان قد فتح دفتر ملاحظاته ويركز اهتمامه عليه

وقطعت القاعة، واكتسبت بعض الثقة بنفسها وهي تبتسم للمسافرين. معظمهم من السيدات في منتصف العمر، بعضهن برفقة رجال، والبعض لوحدهن. وردّ الجميع ابتسامة جويس.

www.elromancia.com

هذه هي مهمتها بحق السماء! الابتسام، تحية الناس، جعلهم يشعرون وكأنهم في بيوتهم فوق السفينة.. وفردت كتفيها وهي تقترب من طاولته. وأقنعت جويس نفسها أن السيد روبرتس ليس أكثر أو أقل اهمية من باقي المسافرين.

لكن عندما وصلت جويس إلى طاولته قرب الحائط الزجاجي، كانت تتمنى لو ان القاعة تنفتح وتبتلعها. ماذا ستقول له؟

- مرحبا آمل أن تكون قد نسيت غلطتي.. أنا جويس سوير.

ورفع مايك روبرتس نظره عن الأوراق ببطء، وبدا عليه وكأنها قد وصلت لتوها من المريخ، مخلوق عجيب وصل إلى الارض لهدف وحيد هو إزعاجه، ليس لمرة واحدة، ولكن الآن أيضاً. وفي نفس الوقت كانت عيناه تحملان رجولة، وجاذبية، جعلتا جويس تحبس أنفاسها من جديد.

وساد صمت طويل، مما زاد قلق جويس. ثم سمعته يقول، بلهجة ملطفة، غير مهتمة:

- لو أنني أكّدت أن اعتذارك مقبول، فهل ستحترمين عزلتي؟

- طبعاً.. لم أكن أقصد أن..

- أرجو أن تفهمي بأنني لو لم أكن أريد أن أبقى وحيداً، فلدي العديد من الأصدقاء على متن السفينة لأبقى بصحبتهم.

وهز رأسه بأدب ثم تابع قراءته.

ووقفت جويس قرب الطاولة، وهي تشعر بالاضطراب أكثر من أي وقت في حياتها. لقد جعلها تبدو رخيصة وبائسة... لماذا؟ ماذا به؟ ألا يسافر الناس في رحلات بحرية للالتقاء بالناس الأخرين؟ وحتى يتصادقوا، ويصبحون اجتماعيين أكثر؟ لقد صرفها عنه بكل برود مثل... وكأنها فتاة بار رخيصة! شيء ما بداخلها كان يدفعها للهرب، ولكن شيئاً آخر كان يطالبها بأن تشرح لهذا الرجل الفظ والمتكبر أنها ليست منجذبة إليه لثرائه، أو مركزه، ولا لحسن منظره، وبالتأكيد ليس مع تصرفاته الفظة. فقالت له:

- لم تكن هذه فكرتي... لقد طلب مني ستيف ماركوري أن... بما أنك هنا دون.. دون زوجتك أو..

لا فائدة! لقد أساءت الأمور أكثر. وحاولت مرة أخرى أن توضّح لماذا أتت إلى طاولته دون دعوة

- ستيف لم يرد أن تمضي أمسيتك هذه وحيداً.

وجهها كان يحترق من الحرارة، مع أنها كانت تحت نظراته الجليدية.

- أنا لا أعرف رجلاً اسمه سيد ماركوري. ولست أدري كيف أنه، أو أنت، مصممان على أنني هنا دون رفقة أنثى.. مع انني أستطيع أن أحزر.. ولكنني أؤكد لك آنسة... مهما كان اسمك، بأنك تقاطعيني عن عملي، كنت أدرس الخطاب الذي سألقيه أمام زملائي صباح الغد. واذا كنت سأمضي هذه الأمسية لوحدي، أرجوك أن تقولي للسيد ماركوري ان هذا باختياري.. واذا اخترت أن أحظى برفقة، فسيكون أيضاً باختياري.

وشعرت جويس بالإذلال لدرجة الدمار. إطلاقها لإشارات تنمّ عن غضبها هو الشيء الوحيد الذي سينقذها من المزيد من الإحراج، والاندفاع للبكاء، ثم الهرب من الغرفة. فقالت، وصوتها يرتجف:

- لقد قلت لك إن هذه ليست فكرتي... أنا جديدة على متن

www.elromancia.com

هذه السفينة. . . وأصر عليّ ستيف أن أتقدم منك وأتحدث معك حول هذه الأمسية. . إنه. . . إنه رئيسي.

- حقاً كم أنت صريحة.

ومضت بضع لحظات على جويس كي تستوعب ما يعنيه، إن رئيسها يعمل في إرسال النساء لاجتذاب انتباه الرجال الذين هم لوحدهم في السفينة! ما هو نوع هذا الدماغ الذي يصل إلى مثل هذا الاستنتاج؟ وتملكها غضب أعمى.

- وهل تفكر في الناس دائماً بهذا السوء. . . وهل تتمتع دائماً بجعل الناس يائسين هكذا. . .

- أو غير مرتاحين؟ كنت على وشك أن أسألك نفس السؤال. . . انظري. . . مع أنني لا أتمتع في أن أغرق في الشراب المثلج فأنا على استعداد للنظر إلى ما حدث بأنه مجرد صدفة. . . ولكن التقرب مني على يد امرأة غريبة، وخاصة عندما يكون واضحاً أنني مشغول، لا يتطلب هذا مني أن أكون مؤدباً. . . أرجوك بكل لطف أن تمرري هذه الكلمة إلى. . . . مهما قلت اسمه. . رئيسك. وقولي له بأنني لو تحرش بي أحد ثانية فسأتحدث مع القبطان لأتأكد من أنكما معاً ستغادران هذه السفينة في المرفأ القادم!

وتنفست بصعوبة، لو أنه استخدم كلمة «قواد» بدلاً من كلمة رئيس لكان ما يعنيه بنفس الوضوح. ولم تعد مهتمة بهذه «الوظيفة الحلم» التي تلطخها بهذا الرخص. وكرهت ستيف لإصراره على أن تتحدث مع هذا الرجل الفاسد. واحتقرت مايك روبرتس كما لم تحتقر شخصاً على وجه الأرض.

- كيف يمكنك أن تكون خسيساً لهذه الدرجة مع شخص يحاول أن يقوم بعمله؟ أنا جديدة على هذه السفينة. . .

- هكذا اعتقدت.

نظرته الساخرة أشعلت غضب جويس أكثر. فهزت رأسها وهي تبحث عن الكلمات المناسبة

- أنت. . الأكثر تعجرفاً ودون شعور ومغرور، وفظ. . و. . .

وأجاب ببرود:

- ولا أطاق. . . لقد نسيتي هذا.

- لم أصل إليها بعد

وكان صوتها قد ارتفع لدرجة الصياح. والتفت العديد من الموجودين يحدقون بها، ثم أداروا أنظارهم تأدباً. وعندما همت بالانصراف رفع نظره ليحدّق بها، وأخذت عيناه تتجولان بها من رأسها إلى قدميها، ثم أشار إليها إشارة تنم عن أنه يأمرها بالانصراف.

فاستدارت مسرعة للخروج من القاعة. أرادت أن تصرخ، أن تبكي، أن تقول للجميع بأنها لم تكن تريد هذا. . . هذا العمل المذل لتصل إلى وظيفة. وأكثر من هذا كله، أرادت أن تجد مكاناً تكون فيه لوحدها.

كانت هذه أسوأ بداية ممكنة. هل سيفهم ستيف لو أخبرته بأن هذا المحامي المشهور كان أكثر شخص مهين قابلته في حياتها؟ أم أنه يتوقع منها أن تتعامل مع أوضاع كهذه بلباقة ودبلوماسية؟ ولكنها لم تعد تهتم.

ولم يكن هناك أحد في الغرفة الخارجية الزجاجية على السطح. وفكرت جويس أن تجلس على كرسي هناك، وأن تترك لدموعها العنان، لتقرر ماذا ستفعله تجاه هذه المجابهة مع مايك روبرتس. ولكنها لاحظت أنها ليست لوحدها هناك فقد مرّ بها

www.elromancia.com

زوجان متجهان إلى مؤخرة السفينة وهما يتحدثان. ولاحظا وجودها، فرمقها الرجل بنظرة وكأنه يتهمها باستراق السمع على شأن عائلي بينهما فتركتهما واتجهت نحو المصعد.

من المؤكد أن ستيف سيكون لديه مهمات أخرى يكلفها بها هذا المساء. عليها أن تشرف، على الأقل على ما يدور خلال حفلة القبطان للعشاء أثناء الحفلة الراقصة التي من المقرر أن تلي العشاء. ولو بقيت مشغولة فستصرف ذهنها عن التفكير بمايك روبرتس. فعلى الأرجح هو الراكب الوحيد ذو العصبية المزعجة.. ومن السخرية أن تدعه يفسد هذه الرحلة الحلم، وهذه الوظيفة الرائعة.. وقررت جويس أن تعود إلى مقصورتها، وتنعش نفسها، ثم تتحدث مع ستيف.

وهي في المصعد لاحظت أن الركاب معها يضعون شارة بلون معين تشير الى المجموعة التي ينتمون إليها. وتذكرت شيئاً.. شارتها! الشارة التي تشير إلى أنها مساعدة مدير الرحلة! ففي استعجالها للقاء ستيف نسيتها على الطاولة. وحتى ستيف لم يلاحظ بأنها لم تكن تضع الإشارة التي ستجعلها معروفة من الجميع على متن السفينة، على أنها موظفة!

هل كان مايك روبرتس سيعاملها باحترام لو أنه عرف أنها موظفة ولا تتحرش به. لا.. فمن الواضح أنه ذكي بما فيه الكفاية ليعلم أنها لا تبدو ولا تتصرف وكأنها.. ساقطة.. وعليه أن يعرف أن مثل هذا الأمر لا يسمح به على متن السفينة. ولا وجود لأي عذر للطريقة التي تصرّف بها معها.

ومع ذلك، وهي تستعد لأول حفلة من النشاطات، وهذه المرة تذكرت شارتها المعرِّفة بها، وجدت جويس أن أفكارها تعود إلى ذلك المحامي الوسيم، وانزعجت من نفسها لأنها سمحت له

بأن يكون له هذا التأثير القوي عليها. وأرادت أن تنسى، تنسى ملاحظاته المهينة ونظراته الشرسة. وشعرت بالحرارة تلف جسدها لذكرى نظرته إليها، وأخذ جسدها يتوتر بطريقة لم تعرفها من قبل.

وهزت جويس فرشاة الشعر على طاولة الزينة بغضب.. لماذا حتى التفكير بهذا الرجل؟ وأخذت تتصور نفسها في مكان آخر، وظروف أخرى. تصورت أن لقاءهما كان سيكون مريحاً، وانجذابها لبعضهما فوري لا يقاوم. وفي حلم اليقظة هذا، كان مايك روبرتس فاتناً وحتى نبيلاً..

جنون سخافة! إنه تفكير طفولي مجنون! ووقفت جويس عن مقعدها. ولكن الشيء التالي الذي حلمت به في مخيلتها الرومانسية المجنونة، إنها على سطح السفينة معه تحت ضوء القمر. ذراعاه القويتان تجذبانها إلى قربه، وهو يقول لها «أعبدك يا جويس.. لقد وقعت في حبك بجنون!»

وركّزت جويس على كلماته الحقيقية التي قالها... وكانت أفضل علاج لسعادتها بترك أحلام اليقظة الرومانسية السخيفة تسيطر على تفكيرها. وتذكرت كيف تصرف معها، وما قاله! وبقيت غاضبة منه! وقالت لنفسها «لو كنت محظوظة يا جويس، فلن تري السيد روبرتس خلال ما بقي من هذه المرحلة» وكان هذا مثيلاً للقول بأنها لن ترى ذلك المخلوق الذي لا يُحتمل ثانية.

٢ - رجل كالبشر

قابلت جويس مايك روبرتس في وقت أقرب مما توقعت. وما إذا كان هناك أي شك في أهميته، فقد زال بحضوره على طاولة القبطان. وكان القبطان، راي لوغان، يستضيف على طاولته سبعة أشخاص آخرين. ضيوفه سيتغيرون في كل ليلة، ولكن الليلة الأولى هي لأكثر الأشخاص أهمية على متن «ملكة الكاريبي».

وركّزت جويس اهتمامها على من هم أقل تألقاً والذين تجلس معهم. وبينما يتناول باقي الطاقم طعامهم في غرفة الطعام الخاصة بهم، فقد رتب ستيف لجويس ان تتعشى مع الركاب، كي تتدرب على أن تكون مساعدته المضيفة. ولاحظت أن النقاش الذي كان يجري عند أحد أطراف طاولتها كان متوتراً. وبدا أن ايلين ودان ويبستر الزوجين اللذين تذكرت أنها قابلتهما من قبل، كانا على طرفي نقيض. كان حديثهما لوحدهما، مع تدخل بين الحين والحين من شقراء شابة قُدمت للجميع على أنها ابنتهما، لينا، والتي لا تزال في سن المراهقة. ومن الواضح أن تصرفاتها كانت موضوع حوار أبويها. وكانت لينا تتجاهلهما معاً. مركّزة

اهتمامها على الطعام واستنتجت جويس أن الفتاة التي ورثت لون عينيها الخضراوين من والدتها. كانت مدللة والدها. وايلين وجدت أخطاءً في تصرفات لينا، لأنها سمعت والدها يقول:

- إنها صغيرة.. ولا تستمري في إثارة ذكرى الماضي.. ودعينا نمرح.

وبكل أدب، وفي محاولة لعدم استراق السمع لحديث الزوجين. أخذ ثلاثة نسوة، قدّمن أنفسهم باسم، غلاديس، غلوريا، ودورتي، وثلاثتهن من السنترو في كاليفورنيا، يتحدثن عن كيف سيقضين وقتهن في سان جوان. وانشغلت جويس بالرجل الأربعيني ذي العينين الزرقاوين، الدكتور ايدي بروك، كما عرفت جويس اسمه، وعلى عكس مايك روبرتس، جعلها تشعر بالراحة في هذه الجلسة الفاخرة غير المألوفة لها. وشعرت جويس بالراحة مع دكتور السفينة حتى أنها أخبرته حول مواجهتها السيئة مع أحد المسافرين.

- لم أكن أضع الشارة التي تدل على اسمي.. أتظن أنه حقاً اعتقد أنني.. كما تعلم... أحاول أن أغريه؟

- نظرة واحدة إليك كان يجب أن تعلمه بالعكس. أظن أنه معقّد.. لا بد أن لديه مشاكل.

- ذلك الرجل لديه مشاكل؟ من المفترض أنهِ قمة في حقل عمله وثري دون شك مؤلف لأروع القصص.. لقد أخبرني ستيف هذا.

فابتسم الدكتور بروك

- ليس هناك أحد منا منيع ضدالمشاكل يا جويس. مما سمعته من إشاعات بين الطاقم أنه كان على وشك الزواج من ثرية مجتمع

لامعة في سان فرانسيسكو. حيث بلده. ولكنه ترك البلد لمدة أربعة أشهر قبل موعد الزواج، لاستلامه إحدى قضايا الجرائم. على كل الأحوال عشية الزفاف تقريباً، علم أن سيدة حبه، أثناء غيابه في عمله، كانت تقوم بأعمالها الخاصة، مع نجم مطرب شاب.

- وبالطبع لم يستطع أن يسامحها. لقد لزمني ثلاثة اعتذارات ليسامحني على سكب الشراب على قميصه صدفة.

- لا أعلم التفاصيل، ولكن في كتابه تحدث عن الموضوع، وأظن أنه مصاب بالمرارة . وربما كارهاً للنساء.

- ماذا؟

- كاره للنساء. ولكنه بالطبع قلق من أن يتورط. يكفيه مرة ليكون غبياً. الإذلال أمام الأصدقاء، وفي حالته، أمام الجميع علناً.

- لقد حدث معي هذا مرة. وأسوأ ما في الأمر هو الاعتراف أمام الأصدقاء بأنه تخلى عني.

- وهل تخلى عنك شخص كنت تهتمين به؟ أعتقد أنه معاق. إنها قضية قصور عقلي واضح.

وضحكت جويس للإطراء. فايدي بروك لديه دفء وصدق طفوليان تقريباً، على الرغم من وضعه المهني.

- لقد ذكرت كتاب السيد روبرتس، أظن أنني الوحيدة التي لم أقرأه..

- اسم الكتاب «الحياة عند الحد الفاصل» إنه قصة حياة ذاتية. وهو مثير للاهتمام.

وبدا على الدكتور أنه لا يرغب في الحديث عن روبرتس

فعاد إلى الحديث عن جويس وحبها المحطم..

- وهل أنت مسافرة معنا لتهربي من حيث تحطم قلبك؟

- أوه.. لقد كان هذا منذ زمن بعيد.

- منذ زمن بعيد؟ لا يمكن أن تكوني قد تجاوزت العشرين.

- اثنان وعشرون... وساذجة جداً، ولم أسافر من قبل. وأخاف حتى الموت من أن يسألني أحدهم ماذا يجب أن يرتدي لمناسبة خاصة، أو ماذا يجب أن يشاهد في المارتنيك مثلاً... و...

- إجابات عادية.. قولي لهم أن يرتدوا ما يرونه مناسباً لهم أكثر. وفي المارتنيك سيأخذهم مدبرو الرحلة رأساً إلى خرائب «سانت بيير» البركانية.

وربت الدكتور على يد جويس

- ابقي فقط فاتنة وجميلة وودودة مع الجميع. وستكونين أفضل مساعدة لمدير الرحلات حصلنا عليها على متن السفينة.

وشكرته جويس، وبعد أن عرض عليها أن يعرفها بالمرافىء التي سترسو فيها السفينة عندما يكون لديه وقت فراغ. حوّل اهتمامه إلى النسوة الثلاث من كاليفورنيا، وكن جميعاً في أواخر الاربعينات أو أوائل الخمسينات، ولم يكنّ من الركاب الاثرياء. فقد اعترفن أنهن كن يوفرن طوال عمرهن ليعرفن كيف تعيش الطبقة الغنية. وخرج الدكتور عن تحفظه ليصبح فاتناً ومجاملاً. وأحبت جويس حساسيته، فقد كان يعلم أن العزلة والوحدة يمكن ان تسيئا الى العطلة التي طالما حلمن بها. وتجاهل جويس حتى نهاية العشاء، ولكنها شعرت بتزايد إعجابها بالدكتور بروك.

وبينما كانوا يشربون القهوة بعد العشاء، قال دان وبستر:

- نستطيع تدبير هذا الأمر يا حبيبتي.

www.elromancia.com

وكان يخاطب ابنته الجميلة، ثم التفت إلى جويس عبر الطاولة وقال:

- هل تستطيعين تدبير هذا الأمر يا آنسة؟

- تدبير ماذا؟

- أن تنتقل ابنتي إلى طاولة أخرى؟ ليس لأنها لا تحب الصحبة هنا، ولكن تعرفين كيف هو الأمر، زوجتي وأنا لا نتفق، ولديّ شعور بأن لينا سوف تمرح أكثر إذا لم تكن ملتصقة بنا، أتفهمين ماذا أعني؟ ربما تستطيعين وضعها مع أناس من عمرها تقريباً.

وزمّت السيدة ويبستر شفتيها مظهرة عدم الموافقة. وبدا واضحاً أن زوجها يقوم بهذا الطلب خلافاً لرغبتها. وتابع السيد ويبستر:

- مهما كلف الأمر، المال ليس عائقاً. ليس فيما يتعلق بابنتي.

وقالت لينا بخفة:

- أليس رائعاً؟

وتبادلت مع والدها نظرات الحب ونظرت إليهما ايلين وكأنها تودّ لو تخنقهما كليهما. وقالت جويس:

- ليس هناك ما يدعو للدفع. وليس عليك أن تتحدث معي، تحدث مع «الميتر»

وشعرت جويس بالراحة عندما وقف الدكتور بروك معتذراً:

- آسف يا جماعة، عليّ العودة إلى مكتبي.. لقد بدأت الليلة الأولى، وهذا يعني وجود العديد ممن سيصيبهم دوار البحر، أكثر مما تستطيع الممرضات الاعتناء بهم.

ووقفت جويس أيضاً.

- وكيف يصاب أحد بالدوار؟ لو لم اكن أعلم، لقلت إننا في مطعم فندق

- أجل فملكة الكاريبي فيها آخر اختراعات الاتزان والثبات، ولكن بعض الناس قد يصابون بالدوار لمجرد أن تقولي لهم إن منزلهم هو سفينة بحرية.

وضحك الجميع. وذهبت جويس لتبحث عن ستيف ماركوري.

ولاحظت وهي تغادر غرفة الطعام أن مايك روبرتس لم يعد على طاولة القبطان. فهل ستراه فيما بعد، في حفلة الرقص يا ترى؟ وانزعجت من نفسها لمجرد سماحها بأن يبرز السؤال في ذهنها. وأضاعت طريقها مرتين قبل أن تجد ستيف في مكتبه، وتتلقى مهمتها لتلك الأمسية: عليها أن تتأكد بأنه لن يكون هناك أي شخص خجول من الرقص.. في قاعة الرقص.

تحت الأنوار اللامعة الملونة، ومشدودة إلى عزف الفرقة الموسيقية التي كانت تعزف كل شيء ابتداء من آخر صيحات الروك، إلى موسيقى السلو الناعمة، وجدت جويس نفسها تتمتع بدور تشجيع الركاب على المشاركة في الرقص. وتغلبت على حيائها الطبيعي واكتشفت أن شارة التعريف قد أعطتها درجة معينة من التألق والسلطة. ولو استطاعت أن تمضي هذه الرحلة بسلام، ففي الرحلة القادمة ستكون قادرة على إسداء النصح للمجموعة الجديدة من الركاب حول ماذا يفعلون، وماذا يشاهدون في المرافىء، وكيف يتمتعون بوقتهم فوق الباخرة.

وتمنعت جويس عن قبول الدعوات للرقص، وركّزت على أن تحصل النساء اللواتي لا رفيق لهن على شركاء للرقص. ولم تكن مضطرة لإسداء هذه الخدمة للينا ويبستر، فقد كانت الشقراء

www.elromancia.com

الجميلة محط أنظار الحفلة كلها، تتمتع بحريتها بعيداً عن والديها. ودهشت جويس، عندما تقدمت منها الفتاة، خلال توقف قصير للموسيقى، بعد أن تركت أحد ضباط السفينة الذي كانت ترقص معه.

وابتسمت لها جويس، فقالت لينا:

- أتمنى أن لا تكوني قد انزعجت من طلب والدي منك القيام بعمل «الميتر». إن له قلب من ذهب، ولكن المسكين كان مشغولاً جداً في جمع المال، ولم يحظى بالراحة كثيراً.

- لا بأس أبداً.

- ولكنه يتفهم أنني لا أستطيع أن أمرح وأنا ملتصقة بالمسنين ثلاث مرات في اليوم. والدتي قد تضعني في مأوى للعجزة لو استطاعت.

وابتسمت جويس، لم تكن قد أحبت لينا خلال العشاء، إذ وجدتها متعجرفة ومزعجة، ولكنها الآن أحست بأن هذا كان مجرد واجهة كاذبة.

- هل تدبّرت أمر أن تتناولي وجباتك على طاولة... أجمل؟

- لا.. كنت آمل أن تفعلي هذا لأجلي... أترين.. أنا لا أرغب في مجرد أي طاولة.. ولكن هناك محامي على متن السفينة كان جالساً على طاولة القبطان، ولكنه لن يكون هناك الليلة، أليس كذلك؟

- لا.. لا أتصور أنه سيكون هناك.

- حسناً، أينما جلس أحب أن أجلس معه. اسمه روبرتس، مايك روبرتس، لقد عرفت عنه أشياء، وعلمت أنه مولع بالتنس. انه من النوع الذي يعجبني..

- السيد روبرتس موجود هنا مع مجموعة كبيرة.. وأتصور أنه سيتناول وجباته مع المحامين الآخرين.. في حفلات خاصة.

- أرجوك أن تحاولي.

وانسحبت لينا إلى حلبة الرقص مع محاسب السفينة، وهو من أكثر الرجال الموجودين جاذبية. عدة مرات لاحظت جويس أن لينا تبدو متحيرة، تجيل النظر نحو المدخل العريض لقاعة الرقص. ورقصت مع العديد من الرجال، ولكنها لم تكن مهتمة بهم. فهل هي تنتظر، متأملة أن يظهر شخص ما؟ المحامي الذي تعتبره «النوع الذي يعجبها»؟

ما أن بلغت الساعة الواحدة والنصف حتى بدأ المسنون يذهبون إلى مقصوراتهم وأجنحتهم، وذهب الشبان إلى نادي السفينة، حيث الأنوار الملونة وموسيقى الديسكو الصاخبة تستمر حتى الفجر. وأحست جويس هناك بأن لا لزوم لبقائها وأنها تعبة من عمل اليوم.

وبينما كانت تنتظر عند المصعد قررت فجأة أن تمضي بضع دقائق على سطح السفينة في الهواء الطلق. لقد أمضت طوال تلك الأمسية في غرف مقفلة، غير مدركة أنها على متن سفينة. ايدي بروك على حق فيما قاله عن ثبات «ملكة الكاريبي» فهي تستطيع أن تسير هناك بكعبها العالي دون أن تشعر بأي تحرك تحت قدميها.

واستمرت جويس بالسير نحو مؤخرة السفينة، وقد استحوذ على مشاعرها غرابة المنظر من حولها، والشوق لأن ترى أول جزيرة مليئة بأشجار البلح في الغد.

ووصلت القسم غير المغطى بالقبة الشفافة، وأراحت ذراعيها على الحاجز. البحر، بعيد من تحتها، كان معتماً. وضرب وجهها نسيم ناعم، منعش بشكل لا يصدق. وأحست جويس

www.elromancia.com

للمرة الأولى منذ رفعت السفينة مرساتها، أن حلم طفولتها بالإبحار حول الكاريبي قد أصبح حقيقة. وتنهدت.. ثم شهقت بعد أن سمعت صوتاً من خلفها كانت تعلم تماماً أنها هناك لوحدها، ومع أنها كان متأكدة أن ليس هناك ما تخاف منه. فقد تسارعت دقات قلبها من الصدمة وقد سمعت شخصاً يقول:

- لا يبدو هذا المنظر كأنه واقعي.. أليس كذلك؟

الصوت الرجولي العميق كان به رنة مألوفة واستدارت جويس، ملامح الوجه أمامها كانت ملفتة للنظر تحت ضوء القمر، عيناه أعتم مما تتذكر، يحيط بهما حزن لا يتناسب مع ابتسامته المشرقة. وكان مايك روبرتس يقف إلى جانبها. وسمعته يقول:

- الطرق المضاءة بأشعة القمر كلها أوهام.

كان لصوته نغمة شعرية عميقة، وربما كان يقول الكلمات لنفسه وذهلت جويس، ولكنها بذلت جهداً لتبدو باردة فقالت:

- وماذا يعني هذا؟

- هل أزعجك؟ أتفضلين أن تكوني هنا لوحدك؟

- كان عليّ أن أسألك نفس السؤال في غرفة الجلوس هذا المساء.

- أنت حساسة آنسة سوير.

- حسناً ما قلته صحيح. لا يمكن للناس أن يتقدموا هكذا.. يقحمون أنفسهم على الآخرين و...

كان قد وضع ذراعيه على الحاجز، فرفعها واستدار وكأنه سيذهب واجتاحتها رغبة فجائية في أن يبقى:

- بالطبع لم أكن.. أضع إشارتي التي تعرّف بي. ولم يكن بإمكانك معرفة أنني المساعدة الجديدة لمدير الرحلة.. أنسة... اسمي؟

ونظرت إليه لتجده قد أطرق قليلاً ثم كشف النور المعتم عن ابتسامة دافئة:

- لقد قابلت السيد ماركوري، وانتهزت الفرصة لأسأله.

- أوه.. إذاً لقد عرفت أنني لست.. لست..

- كان عليّ أن أعرف عندما رأيت كم غضبت ففتيات الليل لا يبكين عندما يُطردن.

كانت جويس قد قالت له هذا من قبل، ولكنها كررته الآن:

- لم تكن فكرتي. أن أسير إليك هكذا مثل ما فعلت... لو لم يكن هذا أول يوم لي في الوظيفة، التي بدأت أعتاد عليها لتوي. لقد قلت لستيف بأنني لا أستطيع أن أتقدم من رجل غريب و.. أن أحاول القول له كيف عليه أن يمضي سهرته.

- لم يقل لي أحد كيف أقضي أمسياتي. وأنا مدين لك باعتذار.. أرجوك أن تقبليه يا جويس.

- لم أكن أتصور بأن يكون أي انسان بالبرود الذي كنت عليه. هل أنت لئيم هكذا على الدوام، أم أن مزاجك كان سيئاً، سيد روبرتس؟

- كان مزاجي متكدر. وقد لازمني منذ أن صعدت إلى السفينة. أتظنين أن حمل السفينة هذا من صائدات الرجال أمر لطيف.. عندما تقدمت مني، كنت قد خلصت نفسي للتو من اثنتين من أبغض النساء إصراراً..

- ولكن كم ستملأك هذه الرحلة بالغرور! فعليك أن تبعد عنك كل النساء اللواتي وقعن في حبك من النظرة الأولى.

www.elromancia.com

- ومن هو اللئيم الآن؟

- أنا أعلق فقط على ما سمعته منك. وبما أنني الآن قد عرفت أنك لست مولعاً بالناس، وخاصة النساء، سأحاول أسهر على أن تبقى وحيداً. وبالتأكيد لن أزعجك ثانية.

- لا أظن أنك فهمتي. كنت أحاول أن أعمل في تحضير خطابي للغد، أي اليوم في الواقع. لا بد أن الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً.

- وأنا أعمل أيضاً.. وأظن أن النساء لن يتركنك لوحدك.

فضحك وقال:

- سوف تظنين أنني أكثر الناس حماقة لو قلت لك إنك على حق. فأنا لم أنم جيداً خلال الليلتين السابقتين، وأنا أعمل على إنهاء آخر التفاصيل في قضايا زبائني كي أستطيع أن أسافر. وحقاً أردت أن يكون حديثي متعقلاً. وصراحة كنت متوتراً، والسبب أنني لا أريد أن أبدو غبياً في الغد.

مذهل أنه يشك بنفسه. إنه من البشر.. ورقّت لهجتها وهي تقول:

- لقد قلت لك إن اعتذارك مقبول سيد روبرتس.

- اسمي مايك. نحن في رحلة استجمام. والجميع هنا ينادون بعضهم بالأسماء الأولى.

- ولكنني لست في إجازة.

وبقيا صامتين للحظات يتأملان بالمنظر الرائع أمامهما. ومع أنهما لم يتبادلا الكلام، فقد شعرت جويس بتتابع الاتصال بينها وبين الرجل الواقف الى جانبها. قريباً منها إلى درجة أن ذراعه

لمس ذراعها. وسألها بهدوء:

- هل هذا طابقك أيضاً يا جويس؟

- ولكنك تعلم.. فهذا الطابق فيه ستة أجنحة، محجوزة للأثرياء الحقيقيين. وأنا أشغل مقصورة صغيرة مربعة في الطابق السفلي، حيث باقي الموظفين.

- لا يهم.. فكم يمضي الإنسان في مقصورته؟ أنا مثلاً أنوي أن أقضي يومي تحت الشمس، وأن أرى قدر ما أستطيع من الجزر وأن أتمتع بما أستطيعه من حلقات الدراسة، وأن ألعب التنس. هل تلعبين التنس؟

- لا..

وفي مكان ما من ذاكرتها سمعت قول لينا ويبستر تقول عنه إنه من «النوع الذي يعجبني» لأنها يتشاركان حب التنس... ولم يبدو هذا الشعور بالغيرة ذا معنى. كان شعور غير مألوف لديها وغير واقعي تماماً كالطريق الكاريبي المضاء بنور القمر، ولكنه موجود. وتابعت قولها:

- وعلى كل الأحوال.. أنا هنا للعمل وليس للعب.

- ولكن بالتأكيد ستنزلين من السفينة لمشاهدة الجزر؟ وهذا واجب عليك كمساعدة لمدير الرحلة.

- أوه أنا متأكدة أنني سأراها.. وأنا لا زلت غير مصدّقة بأنني سأرى هذه الأماكن الجميلة. «اروبا» و «تورتيلا» قد تكون معروفة لديك ولكنني لم أتمكن أبداً من زيارتها. مثلك.

- ولكنني لم أزر «اروبا» و «تورتيلا» أيضاً.

والتفتت جويس إليه بدهشة وقالت ساخرة:

- حقاً؟

- إنه الوقت يا جويس. لسنوات وأنا أقول لنفسي إن الوقت هو ما يلزمني. في البداية كي أحصل على درجة التخرج، ثم تصميمي على أن لا أعتمد على اسم عائلتي للشهرة أو للمال... أوه.. لقد كنت مشغولاً جداً لأتمتع بحياتي. كنت طموحاً، ومسيراً بهذا الطموح. ربما كان عليّ أن آخذ الوقت الكافي للتمتع. ولمخالطة الناس.

هل يلوم نفسه لأن عمله أبعده عن المرأة التي أحبها؟ هل خسرها بسبب إهماله لها؟ ولم تترك جويس له الفرصة لأن يعرف إن موضوع قلبه المحطم عرضة للأقاويل في السفينة. وعندما قال إنه كان عليه أن يعطي وقتاً أكبر «للناس» هل كان يعني أنه ارتكب غلطة في تركيز مشاعره على شخص واحد؟ وبقي صامتاً، ملاحظاً الوسيمة اتخذت خطوطاً متجهمة، وانتظرت جويس ليتابع حديثه، وعندما لم يفعل قالت:

- إذاً فهذه الرحلة الأولى؟

- أجل... أول عطلة منذ سنوات لا أستطيع تذكر عددها.

وكان مايك يتدفق في إعطاء أسراره لها، فقد قال فجأة، وكأنه يتكلم مع نفسه:

- أحل لقد كنت مشغولاً جداً بالتقدم للنجاح. وأتذكر عندما بدأت أكتب كتابي. كنت أمضي اليوم في قاعة المحكمة، ثم أنحني فوق آلة الطباعة إلى منتصف الليل، وأحياناً طوال الليل. ولم أكتبها أملاً في أن أصبح كاتباً لأروع القصص. لم أكن أفكر بأن الكتاب سينجح هكذا... وأن الكثير من الناس قد يرغبون في معرفة تفاصيل حياة محام. ولكنني وأنا مرتبط بعملي، لم أفكر بالإجازة، وخلال تلك المدة كنت أعلم.. أنني أهمل أشخاصاً محددين.

- وهل هناك شخص بالتحديد؟

ولم تستطع أن ترى وجهه بوضوح، ولكنها أحست بالنظرة المتفحصة الطويلة التي رمقها بها، ثم قال:

- أنت ذكية جداً يا جويس. ولكنك على حق.. كان هناك شخص محدد.

- ولكنك أنهيت كتابك وكان نجاحه كبيراً. ويجب أن تشعر بالسعادة.

- أجل.. ولكنه كان نوعاً من العلاج النفسي. فقد سجّلت فيه كثيراً من... مشاكلي الشخصية.

وتردد مايك قليلاً، ربما متوقعاً أن تعلق جويس على الكتاب. وكان عليها أن تكون صادقة معه.

- ربما أكون الشخص الوحيد في الولايات المتحدة الذي لم يقرأه. وقبل اليوم، لم أسمع به.

- حقاً لم تسمعي به؟

- أقسم لك. ولكنني أحب أن أقرأه

- حسناً، لدي نسخة منه في جناحي. ولا أعلم إذا كان لديك وقت للقراءة.. ولكن..

- سأجد الوقت اللازم للقراءة.. مع أنني عادة لا أقرأ كثيراً، ما عدا..

- ما عدا ماذا؟ دعيني أحزر... القصص الرومانسية الجميلة عن المحبين. هل أنا على صواب؟

وهزت جويس رأسها بالإيجاب. هل يسخر منها ثانية؟ قالت وكأنها تدافع عن نفسه:

- أنا لن أعتذر عن هذا. وأتمنى أن يكون هناك المزيد من الحب في

www.elromancia.com

العالم. فما يحدث فيه أشياء فظيعة. وأنا أريد أن أقرأ فقط عن.. الناس المهتمين ببعضهم.. طبعاً هناك سوء التفاهم والخلافات.. ولكن في النهاية أحب أن أرى الحب ينتصر. تستطيع أن تقول إنني حمقاء رومانسية سخيفة. لست أهتم.

واستدار مايك، ومد يديه لتمسكا بكتفيها. الحركة كانت فجائية بحيث أن جويس حبست أنفاسها. وشعرت برعدة تسري في جسدها عندما أحست بأصابعه على بشرتها. ثم سمعته يتمتم:

- أنا لا أعتقد أنك سخيفة، ولا حمقاء. جويس تعاملي في مهنتي هو مع الناس الذين فعلوا الكثير من الأشياء البغيضة لبعضهم البعض. وأتمنى أن لا يكون هناك حاجة لأشخاص مثلي، وسطاء يحاولون أن يؤمنوا بعض العدالة لضحايا الحقد. لو أن كل إنسان في العالم آمن مثلك بقوة... بالحب فسيكون عالماً رائعاً.

وأحست جويس بالتأثر، ولكنها أيضاً أحست بالإحراج، فقالت:

- هذا... لا يعني أنني لا أفكر بأشياء أخرى..

- أعلم.. من يفكر بالحب طوال الوقت هم من ليس لديهم في حياتهم ما يكفي منه. أنا واثق أن في حياتك الكثير من الحب. أعتقد هذا، أعتقد أن هناك... شخص محدد.

- لا.. لا.. ليس هناك شخص محدد.

وسمعته يتمتم بكلام وكأنه يقول «أمر لا يصدق؟» ثم بحركة سريعة جذبها نحوه وعانقها عناقاً محتشماً وأخوياً ولكنه ملأ قلبها بمشاعر كانت واثقة أنه لم يكن ينوي تحريكها في داخلها. وعندما ابتعد عنها وابعد يديه عن كتفيها قال بصوت خافت:

- هذا لأنني وجدتك طيبة وصادقة.. وأتمنى أن تفهمي قصدي!

- أفهم.. ماذا؟

- إنني لم أكن.. أنا لست.. لقد كانت إشارة صداقة مني.

- اطمئن، فأنا لم أعتقد أنك ستطلبني للزواج سيد روبرتس.. فأنت تحاول التفضل عليّ ثانية.

- لا.. لا.. لم أكن أقصد. أحاول أن أكون صادقاً مثلك.. وأريدك أن تعلمي أنني لست هنا أبحث عن... علاقة طويلة الأمد أو... التزام ثابت.

- وكأنك تقول إنه نوع من التفضّل.. أن تجعل الأمر يبدو وكأنك تحاول أن تشرح لي أن لا أفتن لمجرد أنك... أن غريباً قد.. قام بإشارة صداقة بعد أن تصرف معي كفظ متكبر. لقد قلت إنني أحب أن أقرأ القصص الرومانسية، ولكنني لم أقل إنني أموت شوقاً للتورط بقصة حب!

- ها أنا على خطأ ثانية.. وأرجوك لا تذهبي.

- الوقت متأخر وعليّ أن أستيقظ باكراً، فأنا لست في إجازة، أتذكر؟

- وعليّ أن ألقي خطاباً في الغد.

وسارت جويس على السطح وحافظ على خطواته معها. ويده مطبقة على كوعها، يقودها. وقربه منها كان له تأثير مقلق.

- ربما نستطيع مشاهدة بعض الجزر معاً، فرؤية الأماكن الجديدة المثيرة ليس فيه مرح إذا كان الإنسان لوحده.

- قد يكون هذا أمر جيد..

رؤية بورتوريكو معه غداً كان أمراً مثيراً تخطى كل أحلامها المجنونة. ولكن كان عندها كبرياء كثير حتى لا تعترف بهذا لرجل لا يمكن التنبؤ بما ينويه. فعند الصباح قد ينسى بأنه اقترح عليها أن

www.elromancia.com

يشاهدا الجزر معاً. وعند المصعد قال مايك فجأة:

- اوه.. هل تسمحين بدقيقة من وقتك؟ لقد وعدتك بنسخة من كتابي، هذا إذا كنت تحبين فعلاً أن تقرأيه.

- طبعاً سأقرأه.

وسارت معه عبر الممر الطويل حيث تقع الستة أجنحة الأكثر فخامة في السفينة. وأحست بالقلق، ربما يستخدم الكتاب حجة ليأخذها إلى غرفته. وقالت جويس لنفسها بصمت، لو أنه فعل هذا فلن أكلمه بعد الآن.

هل شعرت بالراحة، أم بخيبة الأمل، عندما فتح مايك باب جناحه ودخل دون أن يدعوها للدخول معه؟ وغاب بضع ثوان ثم عاد وهو يحمل كتاباً له غلاف سميك، وقال:

- ليس عليك أن تشعري بأنك مجبرة على قراءته. ولكن لو قرأتيه ستعرفيني أكثر. وأتمنى أن تعرفيني أكثر يا جويس.. كصديق.

- شكراً لك.. سأعيده لك فور أن...

- لا.. لا.. إنه لك.

وشكرته جويس ثانية وطلبت منه التوقيع عليه، مضيفة:

- أنا لم أقابل كاتباً حقيقياً لأروع القصص من قبل.

- وأنا لم أقابل مساعدة مدير رحلة أجمل منك من قبل.

وضحكا معاً، وزادت الضحكة من الدفء بينهما. ثم سمعا صوتاً جذب انتباه مايك. فالتفتت جويس لتشاهد لينا ويبستر عند الباب المجاور. تحاول إخراج مفتاحها من حقيبتها الصغيرة، وعندما بدأت تضع المفتاح في القفل استدارت لتنظر مباشرة الى مايك. وقالت:

- اوه.. مرحباً أيها الجار.

وهز مايك رأسه وأجاب «مرحباً» وأحست جويس أن لينا لم تكن سعيدة برؤية مايك معها. وكان تبادل الحديث قصيراً، ولكنه ترك جويس أقل ثقة بنفسها. لقد أرادته أن يعرف، بعد أن رأت شعوره بالمرارة أن هناك نساء لا يكذبن ولا يستغللن، ولا يخدعن. واعتقدت للحظات أنه انجذب إليها. ولكنها أدركت فجأة أن هناك نساء قد يحببن أن يسلينه. نساء جميلات من عالمه ومحيطه الناجح المثقف.

وقبل ان تدير لينا المفتاح، نظرت إلى جويس نظرة استغراب، وكأنها تتساءل ماذا تفعل بالضبط هذه المساعدة لمدير الرحلات، غير المهمة، غير اللامعة، خارج جناح مايك روبرتس في هذه الساعة من الصباح. ولوت فمها بابتسامة غامضة، ثم استدارت إلى مايك:

- أراك غداً عند الصباح.

وعلى الرغم من أنها لم تكن محتاجة لمن يرافقها، إلا أن مايك أصر على أن يوصلها إلى مقصورتها. ووصلا أمام بابها، وشكرته على كتابه. ومدّ مايك يده ليضعها على خدها، وحرك أصابعه مداعباً بشرتها. كانت لمسة رقيقة رافقها تأثير حاد لم تشاهده جويس من قبل في عيني رجل. وبدا من غير المعقول أن هذا الرجل ذاته ومنذ بضع ساعات كان يقوم بإهانتها. عيناه كانتا قاتمتين وكأنهما غيمة سوداء في منتصف الليل، صوته غير ثابت، حتى أصبح من الصعب التصديق أنه صوت محامي ديناميكي ناجح. وتراجع عنها فجأة، وكأنه خائف من أن يحترق بلهيب نار تشتعل. وقال:

- طالما هذه الرحلة مستمرة فلنشاهد ما نستطيعه من الكاريبي معاً.

ولم يبقى شيء يقال أو يفعل سوى تبادل التحيات.. ثم سار مايك

www.elromancia.com

عائدا عبر الممر الضيق، ودخلت جويس إلى مقصورتها.

ورقدت جويس لوقت طويل دون نوم فوق سريرها. مرات ومرات استعادت ذكرى دفء معانقته لها، واستعادت تصرفاته الشاذة معها عند أول لقائين بينهما، ولكن تفكيرها كان دائماً يستقر على إطرائه الأخير لها:

«أنا لم أقابل مساعدة مدير رحلات أجمل منك من قبل»

ووعدت جويس نفسها بأن تكون متعقلة. ويجب أن تضع مايك في إطاره الصحيح. مجرد واحد من العديد من الركاب الرجال الذين ستلتقي بهم خلال عملها على متن «ملكة الكاريبي». ولقد قال إنه لا يريد أن يكون أكثر من صديق لها. وحاولت جويس أن تصرف عنها تفكيرين استمرا في غزو ذهنها: لو أن مايك بدا مألوفاً لها، فذلك لأنها في أحلام يقظتها، كانت قد التقته وتركته يغازلها. والثاني هو أنها تريد منه أكثر بكثير من أن يكون صديقاً لها.. وغلبها النوم...

٣ - رجل يعرف طريقه

عند الصباح، بدا كل شيء أزرق وأبيض، وذهبي.. الشمس اللامعة زادت من زرقة البحر، والسماء تزينت بغيمات بيضاء رقيقة. شواطىء بورتوريكوكانت على مرمى النظر، تبهر الركاب الذين اصطفوا عند الحاجز للتفرج.

وأمضت جويس بضع دقائق مع ستيف ماركوري، الذي سمح لها بأن تتعرف على «سان جوان» مضيفاً:

- في الرحلات القادمة أرغب في أن تريحيني من خطابات التعريف التي ألقيتها على الركاب. سأذهب إلى الشاطىء مع اساتذة الفنون والرسم. وسيذهب المحامون مع دليل محترف. وإذا كان الدكتور بروك حراً، فأنا واثق أنه سيقدّم لك خدمات الدليل.

ولم تقل له إنها نصف مدعوة لأن تذهب مع مايك روبرتس. فماذا لو أنه نسي هذه الدعوة، وظلت لوحدها في زيارة المدينة البورتوريكية؟

على مائدة الإفطار، لاحظت جويس أن لينا ويبستر قد جلس مكانها تلميذ شاب ملتحي كل اهتمامه منصبٌ على مجموعة

www.elromancia.com

الفراشات التي يملكها. وتبادلت الحديث مع الدكتور بروك، وأخذت تتطلع نحو الطاولة التي يجلس إليها مايك روبرتس وعدة زملاء محامين له. ولم يكن من غير المتوقع أن تكون لينا ويبستر تجلس إلى جانب مايك. ورأت وجه مايك مشرقاً بالضحك، فشعرت جويس بالغيرة، وتساءلت ما إذا كان من الحكمة رفض دعوة الدكتور، على أمل ضئيل بأن يتذكر مايك أنه طلب منها رؤية الجزيرة معه. وقال لها ايدي:

- لقد قال ستيف إنه يريدك أن تصبحي خبيرة بالمرافىء التي نزورها. وأظن أنني مؤهل لأن أكون دليلك. وليس لديّ مرضى بحاجة لخدماتي.

- هذا رائع... ولكن كان لدي النية في أن أزور الشاطىء مع السيد روبرتس.

- وهل توصلتما إلى هدنة؟ الليلة الماضية قلت لي إنه جلف لا يطاق.

- لقد اعتذر مني.. وكنت أنت على حق، فلدى الرجل مشاكله.. لقد تألم بشكل سيء.

- إنها أكبر مؤامرة أخترعت لاصطياد النساء.

- اوه إنه مجرد مسافر.. ولم يكن ليتصرف بهذه الفظاظة معي لو عرف من أنا. إنها ليست غلطته إذا لم أكن أضع شارتي.

- سيلقي خطاباً هذا الصباح.. ولن تصلي إلى الشاطىء قبل بعد الظهر.

- أنا واثقة أنك خبير ببورتوريكو أكثر من السيد روبرتس، ومن المفروض أن أتعلم من خبير. ولكن أفضل طريقة للتعرف على مكان هو أن تضيع فيه. وأنا ومايك قد نفعل هذا.

- أشك بالأمر. إنه يبدو لي كرجل يعرف طريقه.

خلال ما تبقى من الوجبة. سمعت جويس أشياء عن ماضي الدكتور. لقد كان متمرناً ناجحاً في جامعة «اتلانتا» وتزوج من امرأة لم تستطع تحمل ساعات غيابه الطويلة، أو أن يقطع حفلة عشاء من أجل حالة طارئة ولم ينجبا الأطفال، وتم طلاقهما. وتزوجت زوجته ثانية. ومنذ سنتين ذهب ايدي في إجازة على متن «ملكة الكاريبي» وكانوا بحاجة إلى دكتور، وهكذا حصل على الوظيفة. وسألته جويس:

- ألم تتعب من هذا بعد؟

- لقد بدأت أتعب.. لكن ستيف كان له ذوق جيد باختيار مساعدة جميلة وذكية له. وأصبحت السفينة مثيرة للاهتمام ثانية. من الصعب أن أصدق أنني قابلتك بالأمس يا جويس.

- يبدو لي فعلاً أنني أعرفك منذ زمن طويل.

كان مايك وسيماً متألقاً.. ولاحقته نظرات النساء في القاعة وهو يقطع غرفة الطعام الواسعة، وشعرت بالرعدة لسماعه يقول:

- لقد حاولت الاتصال بك، ولكنك كنت قد غادرت مقصورتك. تبدين جميلة يا جويس.. هل لا نزال على موعدنا اليوم؟

- لم أكن واثقة، اعتقدت أنك ستكون مشغولاً...

- وهل قبلت موعداً آخر؟

- لا.. لا.. أنا بدون موعد مع أحد.

- جميل جداً! الجميع في مجموعتي تواق للنزول إلى الشاطىء، لذا قدّمنا موعد خطابي كي ينتهي عند الحادية عشر. أين ألقاك؟

واتفقا على اللقاء في أعلى السفينة. ثم قدّمته إلى من على

www.elromancia.com

مائدتها ووسط تأوه النسوة الثلاث غادر مايك غرفة الطعام، وسمعت الدكتور يقول:

- لو أنه تعب يوماً من مهنة المحاماة، فيستطيع أن يعمل صائداً للقلوب.

وغادرت جويس مكتب ستيف، بعد أن عرفت ما يحتويه برنامج نشاطات السفينة اليومي. وأمضت وقتاً طويلاً وهي ترتدي ثيابها. وتقابلت مع مايك في الموعد والمكان المحددين.

- تبدين جميلة يا جويس.. ظننت أنني لن أنتهي من ذلك الاجتماع.

- وكيف كان خطابك؟

ولكن جوابه ضاع في الإثارة التي أحست بها وهو يتأبط ذراعها. وسارا نحو المصعد ثم إلى السلم المتحرك الذي أنزلهما إلى الشاطىء.

وأخذتهما سيارة أجرة عبر الشوارع الضيقة لسان جوان القديمة، إلى قصر ساحر مزخرف، ثم إلى كنيسة شاهقة الارتفاع، كل هذا كان غريباً ومثيراً بالنسبة لجويس، ولكن الأكثر إثارة كان اهتمام مايك بها. لم تستطع التصديق بأن هذا الوسيم بشكل غير معقول يجد كل عذر ليمسك بيدها وهما يتجولان في الحوانيت القديمة ومعارض الفن. وكانت يدها مرتبطة بيده وهما يقطعان باحة عريضة قادتهما إلى قصر «مارو» وأخذا يصعدان السلالم ويتجولان في الغرف الحجرية للقلعة القديمة، ويقرآن اللوحات التي تصف تاريخها المليء بالاضطرابات.

ووقفا عند جدار سميك يطل على البحر الأزرق المخضر، وهو يضرب بموجاته الصخور من تحتهما، ووضع مايك ذراعه

حول خصر جويس، وهما يتأملان المياه العميقة الزرقاء. ومن موقعهما فوق الجدار بدا أن ليس هناك في الدنيا سوى البحر الجميل والسماء، ودفء الجسد الذي يتكىء على جسد آخر. فهل يحسّ مايك يا ترى بنفس الإحساس؟ قربه منها كان يشعرها بالخوف، ويرسل اهتزازات صغيرة عبر جسدها.

وبعد صمت طويل قال مايك:

- كان هذا المنظر سيبدو لي مكاناً سياحياً فقط. ووجودي معك جعل منه تجربة لن أنساها أبداً يا جويس.

والتقت عيونهما للحظات.. وأحست أن عينيه قد اخترقتا روحها. وأرادت أن تنكر أن لمسته قد استحوذت عليها، ولكن مايك كان قادراً على قراءة أفكارها السرية. ولم يكن لديها القوة للمقاومة، حتى ولو أرادت، عندما أمسك بها بكلتا يديه وجذبها نحوه، ثم أبعدها قليلاً لينظر إليها بحنان وهو يبتسم.

- إنه يوم جميل...

ولم تستطع التفكير بشيء تقوله، وشعرت أن أي شيء ستقوله سيبدو سخيفاً لا معنى له. وأخيراً، وعندما كان يسيران عائدين إلى شوارع سان جوان القديمة، استطاعت أن تقول:

- هل... تعامل كل صديقاتك هكذا؟

- لا.. ولكن معك.. لست أدري.

- أذكّرك بشيء.. إنك أوضحت الليلة الماضية.. عدم رغبتك في أن تتورط عاطفياً. وأننا لن نكون سوى صديقين، أتذكر؟

ورمى ذراعه فوق كتفيها وقال:

- وهذا ما نحن عليه.. إننا نقضي وقتاً مرحاً، ولا ضير في أن نتبع مشاعرنا ونتعانق.

وشعرت جويس بالإحباط. وعاودها بعض غضبها الذي عرفته في أول لقاء معه. وتذكّرت بأنه حذّرها، كما فعل ايدي بروك. ولو أنها استنتجت أي شيء من تصرفاته معها فستكون هذه غلطتها.

وسار إلى جانبها وكأنهما سائحين يمضيان نهارهما في التفرج على معالم المدينة. تغيّر مزاجه من حال إلى حال كان محيرا لها. هل يشعر تجاهها بسطحية من الممكن نسيانها في لحظات؟ أم، بسبب جرحه القديم، هو خائف من أن يصبح عبداً لمشاعره. ومشت إلى جانبه وهما يزوران محلاً يعرض فنون العالم القديم، وأعجبتها الأزياء التقليدية. وحاولت جويس التركيز على تجربتها في التواجد في مكان غريب ومثير. كان السكان المحليون يمرّون قربها يتحدثون بالإسبانية، وتقدّم منها بائعوا التذكارات المصنوعة يدوياً. فهذا البلد صحيح أنه تم تصنيعه على يد الأميركيين، إلا أن أهله لا زالوا فخورين بثقافتهم المميزة.

وضحكت جويس عندما قال لها فجأة:

- أنا متأكد بأنك كنت ستشاهدين الأضواء أكثر لو أنك خرجت مع دليل خبير ولكن لو أننا لم نضع هكذا، فهل كنا سنجد مثل هذا المكان؟

وكان مايك يشير بهذا إلى مطعم جميل صغير، بعيد عن بريق شارع «كونندادو» الفخم، وروائح الطعام الشهي تخرج من بابه المفتوح.

- غريب.. لقد قلت لدكتور بروك إن أفضل طريقة للتعرّف إلى مدينة هو أن نضيع فيها.

ووجدا طاولة في المطعم القليل الإضاءة، ونظر إليها مايك

- هل عرض عليك مرافقتك اليوم؟

- كان سيفعل.. ولكنه كان مشغولاً. وكما قال سيكون أمامنا العديد من الفرص فيما بعد. فهذه ليست الرحلة الوحيدة لي..

وصمت مايك لفترة، وهو يتفحص لائحة الطعام التي قدّمها له الساقي الشاب. ثم، قال بصوت واثق:

- حسناً أريد أن أكون في الرحلة القادمة. وستتمكنين عندها من التعويض عليّ للوقت الضائع.

كلامه كان منافياً للعقل، ولكنه تحدث بلهجة مستاءة. أيمكن أن يكون غيوراً. لا بد أنه يعلم أن جويس والدكتور لم يلتقيا سوى في اليوم السابق إضافة إلى أنه ركّز على أن يجعلها تعرف أنه لن يكون بينهما سوى الصداقة. لا.. حتى ليس الصداقة، فعندما ستنتهي هذه الرحلة، سيعود الى سان فرانسيسكو ويتذكر جويس كما يتذكّر الإنسان سفينة مرّت عليه خلال الليل. ولكن ربما، لو شعر بالإذلال من رجل آخر فسيشعر بالمنافسة، حتى لو لم يكن هناك دافع لها.

وأحست جويس بالراحة وخيبة الأمل معاً عندما بدأ يعاملها مايك بشكل أخوي، وهما يتناولان غداءهما المتأخر لأنه لا يغريها بنظراته ولمساته التي قد لاتستطيع مقاومتها.

وتحوّل مجرى حديثهما إلى أشياء غير شخصية، وقد أخذت الشمس تغيب، وبدأت الأنوار تسطع في شوارع سان جوان القديمة، وأصبح مايك مرافقاً خفيف الروح وهو يسير بها نحو سلم حجري يقود نزولاً إلى كباريه تحت الأرض. فقالت جويس:

- يبدو أنك تعرف أين تذهب.

www.elromancia.com

- صحيح. فنشرة تعليمات السفينة تقول إن هذا المكان لا يجب أن نفوّت زيارته. من المفترض أن يكون فيه افضل راقصات «الفلامينغو».

وأضاف مايك وهما يدخلان الغرفة المزدحمة المعتمة.

- هذا المكان يدعي «الكاتو بلانكو» أي القطة البيضاء.

واستقبلهما أحد السقاة معتذراً، فلم يكن هناك طاولات منفردة. فهل سيهانعان بالجلوس مع فريق صغير من إحدى السفن الزائرة.

ووجدت جويس نفسها جالسة على طاولة، لم يكن عليها فقط الدكتور بروك بل شقراء فاتنة أيضاً كانت تنقل نظرها من جويس إلى مايك، وتعابير عينيها الخضراوين اللتين، على الرغم من النور القاتم في نادي القطة البيضاء، جعلتا لينا ويبستر تبدو، وكأنها أكثر شخص شرير رأته جويس في حياتها.

٤ - مجاهل الغيرة

لم يكن هناك أحد على حلبة الرقص أو على المسرح في تلك اللحظات. والد لينا، الذي كان يجلس على نفس الطاولة المكتظة، كان يعوّض عن التسلية الناقصة بالتحدث بصوت مرتفع وبشكل أخرق، مما أكسبه نظرات انزعاج من ابنته الشابة، ولم تكن السيدة ويبستر موجودة، وعندما سألت عنها جويس قال لها دان ويبستر: «إنها ليست مؤهلة لهكذا سهرات».

كان هناك توتر يسود جو الطاولة. الدكتور كان يلعب دور الخبير السياحي، الأمر الذي بدا أن مايك يكرهه. وقال ايدي ناصحاً:

- أمامنا وقت كافٍ لطلب العشاء قبل أن تبدأ الوصلة الثانية من البرنامج.

والتفت إلى جويس متابعاً:

- اطلبي طبق «بايلا فالنسينا»

فأجابه مايك:

- لقد تناولنا هذا الطبق من الرز عند الغذاء.

www.elromancia.com

وهز ايدي كتفيه دون اكتراث، وحافظ على مرحه. على الرغم من الصدّ البارد الذي تلقاه وقال:

- ولكن الإسبانيين يصنعونه أكثر حرارة، يضعون فيه كل التوابل في المطبخ وستجدون ما يقدم هنا رائعاً، وهو طبق يجب أن لا تفوته جويس.

فردّ عليه مايك:

- عادة أترك الخيار لمن ترافقني في ان تختار ما تشاء من لائحة الطعام.

وبدا عليه السرور عندما ايدت جويس كلامه وطلبت لحماً مقلياً، وهز الدكتور كتفيه ثانية، قائلاً لجويس إن أمامها دائماً المرة القادمة في هذا الميناء.

وفكرت جويس: كم من الممكن أن يكون الرجال أطفالاً. فقد شعر مايك بحجو من السيطرة، فوضع ذراعه على الكرسي من ورائها بينما تابع ايدي توجيه تعليقاته لها. كان من غير الممكن التصديق بأنها تتلقى كل هذا الاهتمام، بينما عبر الطاولة تجلس شابة صغيرة جاذبيتها تأسر القلوب والتي تقوم بكل جهدها كي تؤثر على مايك.

وشعرت جويس بالارتياح لبدء البرنامج الثاني، فقد تحول الحديث على الطاولة الى نوع من التوتر غير المريح. وتمنت لو أنها تمكنت من قضاء كل هذه الأمسية لوحدها مع مايك، ولكن بما أن هذا لم يحدث، فقد حولت انتباهها للتمتع بالتفرج على راقصات الفلامنغو بثيابهن المزركشة وهن يضربن أكعاب أحذيتهن على الارضية الخشبية على وقع أنغام رقصة «المالاغيزيا» التي يعزفها على الغيتار شاب يتحدى طبيعة الاصوات الذكرية بصوته الإسباني الحنون.

بعدما تلاشى التصفيق قال ايدي:

- أليس من المؤسف أن نفكر بأن حياة رجل ستكون قصيرة مقابل هذا التصفيق التشجيعي.

وتوقف عن الكلام منتظراً أن يطلب منه أحد أن يفسر كلامه. ولكن مايك لم يترك له هذه الفرصة، وكأنما رأسه مليء بالمعلومات الغريبة، أجاب:

- أجل.. فمغنوا «الفالسيتا» يدمّرون أنفسهم عادةً وهم في سن مبكرة.

لماذا وجد مايك من الضروري حرمان الدكتور من فرصة إظهار معرفته؟

وأخذت جويس تقلب هذا السؤال في ذهنها طوال رقصة البوليرو التي تلت، مستنتجة أن ثقة مايك بنفسه ليست أبداً على المحك. وبدا أن اهتمامه قد تحرك عندما ابتسمت له لينا بإعجاب وقالت:

- أنت تعرف الكثير من الأشياء سيد روبرتس! وأعتقد أنه يجب عليك هذا للدفاع عن مختلف أنواع الناس. وعرفت هذا عندما كنت أقرأ كتابك، فقد أدهشني ما تختزن من معلومات... كل شيء من تربية الكلاب إلى كيفية بناء العاكسات الشمسية.

- هذا لأنني قمت بالعديد من الأبحاث.

وبدا عليه السرور. وفكرت جويس أن الآنسة ويبستر قد سجلت عليها نقطة، وأحست بالغباء لأنها لم تقرأ كتابه بينما هذه الفتاة الفارغة كانت تعرف عنه كل شيء.

وذكّر دان ويبستر ابنته أن «الثقافة من الكتب» ليست ضرورية جداً للنجاح. ونجاحه في أعماله دليل على هذا، أليس

www.elromancia.com

كذلك؟ فهو لم يتجاوز في دراسته الصف الثامن، ومع ذلك استطاع أن يرسل ابنته الى أفضل المدارس في الولايات المتحدة واوروبا.

وتبادلت لينا ومايك ابتسامات سرية صغيرة. ووجدت جويس نفسها معزولة... الرجال! هل عليهم دائماً أن يكونوا عدوانيين، يدافعون عن غرورهم؟ وحوّلت اهتمامها إلى ايدي، وأعطته متعمدة الفرصة للتألق، وسألته عن الأماكن المهمة في سان جوان، التي ربما كانت قد فوتت زيارتها. وعند هذه النقطة في الحديث نظرت نحو المدخل الحجري للمكان لتجد ستيف ماركوري عند أسفل الدرج. وبدا لها عبر الغرفة وكأنه شبح يبرز فجأة في الكاباريه المليء بالدخان. ينظر من حوله بعينين واسعتين مفتشتين. ثم رأته يتقدم ما بين الطاولات المزدحمة ليقف بين طاولتين مليئتين بركاب «ملكة الكاريبي» وبدا عليه الشحوب والاضطراب، والتفت الى ايدي ومال إليه قائلاً:

- كنت أعلم أنني سأجدك هنا يا دكتور.. حالة طارئة.

ووقف ايدي على قدميه فوراً:

- ما الأمر؟

وهمس له ستيف، ولم يسمعه سوى ايدي وجويس.

- إنها السيدة ويبستر، سأبلغ زوجها وابنتها. عدّ إلى السفينة بأسرع ما يمكن، وسأتبعك مع العائلة. ربما تكون التهاب الزائدة.

واعتذر ايدي، وأسرع نحو المدخل، ثم قال ستيف:

- سيد ويبستر، هل استطيع أن أكلمك على انفراد؟

وبعد لحظات كانت لينا ويبستر ووالدها مع ستيف

يصعدون الدرج نحو الشارع. فسألها مايك:

- ما الأمر؟

وتذكرت جويس أنها عضو من موظفي السفينة

- إنها.. مشكلة طبية.. ولا شيء خطير، أنا متأكدة.

- هل هي السيدة ويبستر؟

وعندما حافظت جويس على صمتها ابتسم وقال:

- لن أرغب فيك كشاهدة غير ودية يا جويس. فأنت تعرفين تماماً متى تصمتين.. أنت تعلمين أن جناحهم ملاصق لجناحي، وكانوا على الدوام يتشاجرون في الردهة، أشعر بالأسف على ابنتهم الجميلة الصغيرة.

هل هو ساذج إلى درجة أن لا يدرك أن ابنتهم هي على الأرجح سبب خلافهم الدائم

ولم ترد أن تخوض في الكلام عن الركاب، وحاولت أن تخفي غيرتها الفجائية، ووافقت مع مايك أن لينا هي فعلاً جميلة ولكنها ليست صغيرة.

- أجل.. إنها ناضجة جداً. لقد كانت في ملعب التنس وأنا أنتظرك. عليّ أن أطلب اللعب معها قبل انتهاء هذه الرحلة

وزادت صعوبة ادعاء عدم الاكتراث.

- أجل.. نحن نحب أن يستفيد ركابنا من كل التسهيلات لدينا..

وبدا كلامها متزمتاً، مصطنعاً، حتى أن مايك لاحظ غيرتها، فبدأ يضحك، مما زاد في غضب جويس. ثم تحول إلى محب صغير متملك بدلاً من مجرد رفيق درب ليوم واحد.

www.elromancia.com

- أنا آسف لاضطرار الدكتور للانسحاب. كان يبدو عليك التمتع بحديثكما الحميم.

- بماذا؟

- لا تستطيعين نكران أنك كنت مسرورة من اهتمامه بك.. لقد تجاهلتيني تماماً لفترة.

وحدّقت جويس به غير مصدقة ما يقول، وتابع:

- وهذا الصباح عند الإفطار، عندما تقدمت منكم، كنت ممسكة بيده.

- لم نكن نفعل هذا! كان يعطيني بعض النصائح و.. أظن أنه ربت على يدي.. إنه لطيف و.. أبوي..

- أبوي؟.. آه بالطبع!

هل هذه غيرة؟.. ولم تتمالك نفسها أن تقول:

- ايدي سيساعدني كثيراً، لقد اعترفت له بتوتري حول هذه الوظيفة. وبما أنه أمضى وقتاً على السفينة، فقد كان بإمكانه أن يعطيني النصيحة. وأنا معجبة به، إنه شخص لطيف، ولو أنه معجب بي فهذا لا يؤثر.

وقال مايك بلهجة متوترة:

- لا أتمالك إلا أن أفكر بأنه معجب بك.. وهو عظيم في إعطاء النصائح إلى درجة أن ينصح من هي بصحبتي ماذا تطلب للعشاء.

- هذا أمر سخيف.. كان يحاول فقط أن يساعدني.

- لقد كنت على الدوام قادراً على جعل المرأة التي تخرج معي تتمتع بوقتها دون تدخّل أحد. ولكنني لم أكن أعرف أنكما قريبان من بعضكما إلى هذا الحد.

- قريبان؟ لم أعرفه لوقت أطول من معرفتي بك.

- ولكنك استطعتي التقرب مني في هذه المدة القصيرة.. وأنت لم تقاوميني عند سور قصر مورو.

وتملكها غضب مشابه لذلك الذي سببه لها في أول لقاء لهما.. الأمس؟ هل حقاً كان هذا بالأمس؟ لقد كانت تشعر بأنها تعرف مايك طوال العمر. وشعرت بالدفء والإثارة معه، وها هو الآن يعود إلى غلاظته التي أذلها بها على ظهر السفينة عندما كانت تحاول القيام بوظيفتها. ورغبت في أن تترك الطاولة وتذهب. كيف بإمكانه أن يجعل تلك اللحظات مع بعضهما تبدو رخيصة، بقول كهذا؟

ويبدو أنه لم ينتهِ بعد، فتابع:

- حسناً.. لا اعتقد أنه من غير الطبيعي أن يتعارف أعضاء الطاقم بسرعة. أو أن تتصادقي مع الركاب بأقصى سرعة ممكنة. هل هذه هي اللعبة دائماً في سفن الرحلات؟ الارتباط سريعاً عندما يكون الارتباط جيداً؟

وارتفع صوت جويس:

- إذا كنت تتكلم عن رؤية الأماكن معاً، فأنا موافقة معك. ولكنك لا تتكلم عن هذا.. ألست كذلك؟ أنت تجعلني أبدو رخيصة وفي متناول اليد لأن طبيب السفينة ربت على يدي، ونحن وسط الناس الآخرين. وفي وضح النهار.. و...

- أعترف أن ذلك لم يكن عملاً عاطفياً. ولكن لست ساذجة لدرجة أن لا تلاحظي افتتان رجل بك. وهو شيء لم تحاولي أن لا تشجعيه هذه الليلة.

ولم تصدق ما تسمعه منه. التغيير الفجائي فيه أثار سخطها

بحيث أخذت ترتجف.

- لست أفهم ماذا تقصد سيد روبرتس. ولكن حتى ولو أن ما تقوله صحيح فهذا ليس من شأنك

- ربما ليس من شأني لو أنك لم تشجعيني.. ولا تنكري أنك كنت متجاوبة معي بقوة.

- أنا لم... أقابل شخصاً مغروراً بنفسه مثلك من قبل!

وارادت أن تصرخ بأنها لم تكن تشجعه، ولم تكن متجاوبة معه بقوة. ولكن كيف تستطيع الإنكار بأنها تجاوبت مع حرارة عناقه؟ وشعرت بالارتباك والحرج. كيف يمكن أن يكون قاسياً لدرجة انتقادها ثم تذكيرها بأن عليها أن لا تتصرف وكأنها تُهزم بسهولة؟ وأحست برغبة في البكاء، ولكن وجود أشخاص معهما منعها وجعلها تقول بصوت هادىء:

- أنا لست خبيرة بالرجال، وخاصة الماكرين، الذين يحبون التبجح حول... إن النساء لا يستطعن مقاومتهم. لقد تركتك تعانقني لأنني... لأنك...

وانهمرت الدموع، فمسحتها بظهر يدها. ونظر إليها مايك متحدياً..

- وبعد؟

ولم يكن لديها كلمات كافية لتشرح له لماذا ذابت بين ذراعيه. فكيف تستطيع أن تقول له إن تلك اللحظات القصيرة لهما معاً كان سببها عاطفة كاسحة؟ كيف تستطيع أن تقول له إنها كانت مسلوبة الإرادة لا تستطيع مقاومته؟ أن تقول لها إنها صدقت وهو يعانقها، أنه جاد معها كما هي جادة معه؟... غبي!.. المجرد أن رجلاً آخر تحدث معها، يطالبه غروره بأن يصب الإهانات عليها.

كانت الموسيقى قد بدأت، وأجبرت جويس صوتها للعودة الى الهدوء وفوق صوت موسيقى الفلامينغو قالت:

- أنت من قلت إنك لا تريد التورط الجدي مع أية امرأة. حسناً، أنا أشعر بنفس الطريقة، وعناق عفوي لا يعطيك الحق بأن تتصرف وكأنك... تمتلكني. أنا لا زلت في العشرينات. وأنا في عالم واسع، لذا، أصرف عنك فكرة أنني أهتم بأن أكون مرتبطة، معك أو مع أي شخص آخر.

- ولكنني لا اعتقد أننا كنا نبحث أمر الزواج.

- لا أظن أنني أريدك كصديق، فأنت لا تعرف معنى الصداقة.

- عظيم.. نحن نفهم بعضنا إذاً. مع أنه كان من المؤسف، فأنا بحاجة إلى صديقة لإبعاد صائدات الأزواج عني كي أستطيع التمتع بإجازتي.

وشهقت جويس، ولم تعد تهتم لو سمع كل الناس ما ستقوله لهذا الرجل البغيض:

- إذاً أنت تعترف بأنك كنت ستستغلني؟ وأنت في الواقع مغرور لدرجة إنك تفكر أن كل امرأة على متن السفينة ستقع مغمياً عليها من وطأة حبك؟ أنت مثال كريه للكائن البشري!

- اعتقدت أن مساعدة مدير الرحلة من المفترض بها أن تساعد الركاب على التمتع برحلتهم. أم أنك تتمرنين أولاً مع الطاقم؟

- سأتأكد من أنك ستحضر كل حفلة كوكتيل في السفينة سيد روبرتس. وسأوفر لك ملعب التنس عندما ترغب، ولكن وظيفتي لاتشمل حمايتك من النساء اللواتي يملكن ذوق رديء باعتبارك السيد الرائع.

وقبل ان يتمكن مايك من فعل شيء كانت قد وقفت،

www.elromancia.com

وتركت الطاولة شاقة طريقها عبر الممرات الضيقة بين الطاولات باتجاه الدرج وكانت مصممة على أن لا تبكي، رافعة رأسها إلى الأعلى محاولة تقديم صورة رابطة الجأش لجميع من راقبها وهي تخرج بسرعة وكانت عند أول الدرج عندما سمعت مايك يصيح:

- جويس انتظري! دعيني أدفع الحساب ثم أوصلك إلى السفينة!

وتجاهلته جويس، ستجد سيارة أجرة بنفسها. وأحست بالمرض في قرارة قلبها، وصعدت الدرج، لتجد نفسها تقف في الشارع أمام مدخل الكاباريه، لوحدها، تشعر بالضياع، وفجأة بالخوف. إنها في مدينة غريبة وفي شارع فرعي مظلم... ولم يكن هناك سيارة قريبة.

وتقدم منها رجلان، مما أثار رعبها. هل تهرب عائدة إلى الأسفل؟ وقبل أن تتحرك تجاوزها الرجلان، أحدهما نظر إليها متفحصاً، وغمز الآخر بعينه ثم تابعا سيرهما... هل عليها أن تواجه الإحراج بالعودة إلى النادي لتطلب من أحدهم أن يتصل بالتاكسي؟ لقد هربت عمياء القلب، والآن... الآن، أحست بيد تطبق على ذراعها، وارتعدت من الذعر. ثم سمعت صوت مايك يقول:

- أيتها الأنثى المجنونة! ألا تملكين الوعي الكافي، حتى لا تكوني لوحدك هنا في مثل هذه الساعة!

وجذبت ذراعها منه مبتعدة:

- لقد كنت بخير إلى أن تسللت ورائي وأجفلتني.

وصرخ بها مايك:

- أنا لم أتسلل ورائك.. لقد صعدت الدرج وكنت واقفة هنا. جويس، هذه سخافة. لا يجب أن نتشاجر. لست أدري ما

أصابني يبدو أن لدي موهبة بأن أجعلك تعيسة.

وطالبها كبرياءها أن تطلب منه أن يدعها وشأنها، ولكنها لم ترد أن يذهب. فقد كانت تشعر بالأمان لوقوف مايك بجانبها. مع أنها شعرت بالسخط من نفسها لأنها كانت ممتنة بأنه لم يدعها تعود إلى السفينة لوحدها. وبقدر ما كانت غاضبة منه كانت سعيدة بطريقة ما لأنه يعتني بها. وهذا لم يكن له معنى، على الإطلاق!

رحلة قصيرة إلى الميناء ثم سارا صاعدين سلم «ملكة الكاريبي» وقال مايك:

- لقد كان يوماً عظيماً. فلماذا كان علينا أن نفسد نهايته؟

- لأنك افتعلت صخباً كبيراً حول تحدثي مع رجل سأعمل معه. وبما أنك أنت من أوضحت بأننا سنكون أصدقاء فقط، فلم أظن أن هذا يعني أنني غير مسموح لي أن أتصادق مع أشخاص آخرين

ونظرت إليه لترى ردة فعله، وبدا متضايقاً من نفسه واطرق:

- أنت على حق. وأنا آسف. أنا حقاً آسف يا جويس.

وكانا على السطح قرب الأبواب الزجاجية التي يجب أن يمرا بها ليصلا إلى المصعد. فهل سيفترقان عند هذه النقطة؟ وهل سيتجنبا بعضهما ما تبقى من الرحلة؟ وشعرت بثقل في قلبها. لم تكن تريد أن تنتهي الأمسية. وترددت قليلاً عندما قال مايك:

- لقد اقترب موعد الإبحار.. أليس كذلك؟

- لا يمكن! فكل هؤلاء الناس في الملهى ستفوتهم الرحلة.

ونظر إلى ساعته:

- أنت على حق أمامنا ساعة ونصف قبل الإقلاع. المكان جميل

www.elromancia.com

هنا. ألا نستطيع البقاء و.. التحدث قليلاً؟

- عليّ.. أن أستيقظ باكراً.. ولكن سيكون من المثير مراقبة إقلاع الباخرة من المرفأ في منتصف الليل.

وشاهدت ابتسامة لطيفة على وجه مايك، ثم قادها نحو الحاجز. كان هناك بضعة أشخاص على السطح. ومن بقي في السفينة كانوا على الأرجح في الكازينو او يستمعون إلى فرقة الكاليبسو في إحدى غرف الاستقبال. وأمسك مايك بذراع جويس برقة وكأنه يخشى عليها أن تنكسر، ومع ذلك بقوة كافية لإظهار خوفه من أن تفلت منه وتختفي. وكرر ما قاله قبل قليل:

- أنا آسف لما حدث الليلة يا جويس. لست أدري ماذا دفعني لهذا التصرف. وكأنني محب غيور متملك بدلاً.. من رفيق في رحلة.

وأحست جويس أنه يريد أن يتكلم لوحده، وأن لديه الكثير ليقوله. فصمتت، منتظرة منه أن يتابع.

- من الصعب أن أشرح لك، حتى بالنسبة لشخص متمرّس في الكلام مثلي. يبدو أنني أجد الكلام المناسب تماماً عندما أخاطب المحكمة.. ولكن الآن... لا أجد الكلمات. دون أن أسرد عليك التاريخ الشخصي الذي قد يضجرك، أستطيع أن أشرح لك لماذا شعرت فجأة بالضيق.. وكأن شخصاً كان يحاول أن يفعل شيئاً.. شخص.. بعيد عني.. غبي بالطبع.. كنت أشعر بأننا أفضل عندما نكون معاً، ولم أحب أن يأخذ شخص آخر أي وقت منك، أو أي اهتمام.

- أعتقد أن هذا يجعلك تشعر بالأمان أكثر. لديك كل شيء يعمل لصالحك. حتى ولو لم أكن مجرد... معرفة جديدة. حقاً، لماذا عليك أن تفترض أنني قد أجد شخصاً آخراً مثيراً للاهتمام أكثر

منك؟

- هذا ما حصل. وأعرف إلى ما تشيرين.. من المفترض أن تكون الدنيا عند عتبة داري. وأحياناً تكون هكذا. وهذا لا يعني أنني لست..

وانتظرت منه أن ينهي كلامه، ولكنه كان ينظر إلى البعيد، إلى منظر الأضواء... فأنهت الجملة:

- هذا لا يعني أنك لا تشعر بالوحدة؟

فضحك مايك ضحكة قصيرة:

- الوحدة؟ أووه.. أنا دائماً مشغول.

ولكن كان في لهجته قلة ثقة بالنفس. فهل لمست نقطة ضعف في هذا الرجل الذي هو عادة واثق من نفسه بحيث يبدو متعجرفاً؟ فقالت:

- أنت تتلقى العديد من الدعوات، والنساء تلاحقنك، وربما تتلقى أطنان الرسائل بما أنك مؤلف مشهور الآن. ولكن ذلك لا يخدم نفس الغرض كشعورك بأنك... بأنك حقاً تتبادل علاقة مع كائن بشري آخر. أليس كذلك!

من أين أتتها كل هذه الفصاحة؟ كان الكلام يتدفق منها وكأنها فيلسوفة عجوز بدلاً من أن تكون تلك الشابة غير الخبيرة الساذجة التي يعرفها مايك. وتمنت أن لا يضحك عليها.

- أنا لم أقصد أن أبدو وكأنني.. أعرف كل شيء عن الحياة. أو أي شيء عنك، يا مايك، ولكنني كنت أحاول أن أفهم لماذا يكون شخص مثلك...

- يكون غيوراً مثيراً للشفقة؟ أجل.. ووحيد. وبحاجة إلى اتصال مع كائن بشري على قدم المساواة معه.

ذراع مايك التفّت بشكل طبيعي وسهل على كتفيها. لقد مرّت عليها لحظة شعرت بأنه غريب، غريب لا يطاق جعلها رخيصة لأنها سمحت له بعناقها في وقت مبكر من هذا اليوم. ولكن هذه الأفكار المزعجة اختفت الآن من ذهنها. بإمكانه أن يجعلها تريد أن تضحك وتبكي في آن واحد.

- جويس.. جويس أنت جميلة جداً. ومناسبة جداً.. بين ذراعيّ.

وشعرت فعلاً إنها تنتمي إلى ما بين ذراعيه. ولم يكن حولهما من يراقبهما كما كان الأمر بعد ظهر هذا اليوم. وكان هذا بالفعل أكثر مما تستطيع تحمله. فقد بدا لها. ونفسها يكاد يختنق، أن ما يتشاركان به الآن أهم لها من التنفس.

وتركها مايك أخيراً، وقال:

- من الأفضل أن نتوقف، هذا كثير عليّ.

كان عليها فعلاً أن توقفه الآن، فقد كان جذاباً جداً، وهي قابلة للعطب أكثر. وعليها أن تذكّر نفسها أنها لا تعرف هذا الرجل حقاً. إنها تلعب بشعلة نار حارقة. ولكن أليس هذا ما يحدث للعقل والجسد عندما يقع الإنسان في الحب؟ وأليس الوقوع في حب هذا الرجل المحير الديناميكي، ما هو إلا طريق ذو اتجاه واحد إلى مدينة القلوب المحطمة؟

فيما بعد، وبعد أن شاهدا إقلاع سفينة الرحلات من الميناء وهي تلمع بالأضواء، وركابها محتشدون. بقيا على السطح إلى أن سلكت «ملكة الكاريبي» طريقها في عرض البحر. وكانا صامتين. وايديهما متماسكة، يراقبان الشاطىء المضاء وهو يبتعد. وقالت جويس إن عليها أن تذهب للنوم فودعها مايك عند باب مقصورتها وقال:

- غداً سنصل إلى «كوراساو» فلنشاهدها معاً إذا استطعنا.

واستلقت جويس على سريرها، وقلبها لا يزال يخفق. وأدركت أن النوم بعيد عنها، وحاولت التفكير بأشياء أخرى.. كيف حال السيدة ويبستر يا ترى؟ لم يذكر ستيف أن حالتها خطيرة، قال إن ايدي يمكن أن يعالجها. ولكن، لا فائدة هناك من التفكير بأي شخص آخر. فهناك فقط وجه واحد أمامها وصوت واحد يكرر «جويس.. جويس» ومع أن المقصورة كانت مريحة ومكيفة، إلا إنها شعرت وكأنها تنام على أرض ساخنة تغلي في الغابة... وأكثر الرجال وسامة في العالم يحدّق بها باشتياق، ويداه تزيدان الحرارة في جسدها وفي أحاسيسها، وصوته العميق الأجش يقول مرات ومرات ومرات..

- جويس... جويس... جويس!

٥ - ليست إلا صداقة

استيقظت جويس متأخرة عن موعد الإفطار. وخاب أملها عندما لم ترى مايك في غرفة الطعام. لقد قال لها إنه يرغب في زيارة «كوراكاو» معها فهل سيتذكر هذا؟ وهل سيتصل قبل أن تدخل ملكة الكاريبي إلى الميناء الهولندي القديم؟

وتقدمت إلى مكتب ستيف لتستلم مهامها، فوجدته مجتمعاً ببعض المحامين. حيث كانوا يخططون لإقامة حفلة خاصة بهم. فقال لها ستيف:

- تأكدي من إيصال برنامج اليوم إلى كل المسافرين

ولم يبدو على رئيس الخدم السرور عندما طرحت عليه جويس السؤال الذي كلفها به ستيف حول لائحة النشاطات اليومية. فقد كان يشرف على توزيع البرنامج منذ أكثر من سنة واستاء للسؤال، وخاصة عندما يصدر عن أحدث عضو في الطاقم.

واكملت دورتها على باقي الأقسام والطوابق، ولم تلاحظ ان هناك شيء بحاجة للإشراف، ووقفت جويس دقائق بقرب الحاجز

تنظر الى البحر. . كم سيكون رائعاً أن تزور جزيرة مثل «كوراكاو». . هل سيكون مايك مشغولاً جداً هذا اليوم مع زملائه المحامين بحيث لا يتذكر موعده معها لزيارة الجزيرة؟

ونزلت السلالم الخارجية الى السطح الذي تحتها مباشرة. وشاهدته. كان يركض في ملعب التنس، يضرب الكرة عبر الشبكة بضربات واثقة قوية، وهو يبدو مثل إله إغريقي برونزي في قميص أبيض وشورت التنس. حركاته كانت رشيقة رشاقة حركات القط البري. ووجدت جويس نفسها تقارنه بكل المخلوقات الحية ذات المثالية الجسدية. وتبعت عيناها الكرة وهي تتجاوز الشبكة ورأت صورة أخرى للكمال. . . بنفس اللون البرونزي، ونفس الرشاقة، ونفس الطاقة، ومن الواضح أيضاً لاعب خبير كان يعطي مايك حافزاً للتحدي. لقد كانت لينا ويبستر بدقة، المتحدية الأنثى له.

كان سخيفاً أن تشعر بأنه تخلى عنها، فالتنس كان شغف مايك كما قال لها. وقد وجد شريكاً بارعاً. فكم من الغباء أن تشعر بهذا الحسد لها. وقالت جويس موبخة نفسها: هذا غباء منك، وقد آن لك أن تجدي شيئاً تعملينه.

وبدأت تستعد لأن تذهب، فرأت مايك يضرب الكرة فوق الشبكة في اتجاه مخالف لمكان وقوف لينا، وركضت، والمضرب موجه ليرد الضربة، ولكنها وصلت متأخرة، ووقعت الكرة ضمن حدود الملعب. وحاولت أن ترمي مضربها إلى الأرض من الغضب، والسخط على نفسها، ولكنها ضحكت وركضت نحو الشبكة، وابتسم مايك، وهو راضٍ عن نفسه، وركض بدوره ليلتقيها. وتصافحا مصافحة رياضية، ثم عانقها من فوق الشبكة. وبدا سعيدين جداً. . مايك سعيد بنصره ولينا تحاول

www.elromancia.com

إرضاء غروره بما بدا لجويس بأنه تكتيك خبير.

وشاهدت جويس لينا وهي تشبك ذراعها بذراع مايك وهما يخرجان من الملعب، وهو يضغط عليها بشكل ظاهر. ولم يكن هناك سبب منطقي للدموع التي غشيت عينيها. وركضت نحو السلم وهي تأمل أن لايكون مايك ولا لينا قد شاهداها. ووصلت إلى غرفة المكتب التي عينت لها وجلست إلى طاولتها الصغيرة، ولاحظت أن الباب المقابل مفتوح، إنه باب مستشفى السفينة. هل ايدي بروك مشغول يا ترى؟ كانت تتوق بقوة لأن تتحدث إلى أي كان.

وأبدى سروره لزيارة جويس له.

- لقد افتقدتك على الإفطار يا جويس، كان معي السيدات الثلاث من كاليفورنيا فقط.

- بالطبع لم يكن آل ويبستر معك.

- لا إيلين في جناحها، وأظن أن زوجها «شرب» إفطاره على السطح. وابنتها كان لديها موعد للعب التنس.. هذا مؤسف. أليس كذلك؟ السيدة ويبستر بحاجة لعناية زوجها بها، بحاجة لأن تشعر باهتمامه بها.. ولهذا أحست بنوبة الزائدة الوهمية.

- أهكذا كان الأمر؟

فضحك الدكتور وقال:

- لم تعرف حتى من أي جهة زائدتها.

- لست أفهم

- أنا أحاول أن أبدو محترفاً. أقول لك هذا لأنه جزء من عملك أن تساعدي الناس على التمتع برحلتهم. وتلك السيدة كانت بحاجة إلى شخص دافىء متفهم تتحدث معه.

- وهل ستساعدها زيارتي لها؟

- دون أن تتركيها تشعر بأنك تعرفين ما فعلت

- سأفكر بعذرٍ ما.. ما هو؟

- فكري بما شئت. كنت سأعطيك بعض المعلومات عنها ولكن لديّ موعد.

وضحكت جويس، فقد ساعدها التحدث مع ايدي، وجعلها تنسى أنها منذ لحظات كانت متعكرة المزاج، وفي طريقها إلى جناح ويبستر قررت أن تضع مايك في مكانه الطبيعي: مجرد مسافر مثير للاهتمام، ولكنه مجرد واحد من العديد. وأمامها وظيفة تقوم بها. فلو أنها ركّزت بما يكفي على مساعدة ستيف، فإنها ستستطيع ان تمحو مايك من ذهنها. وستتركه يعرف بأنها ليست متأثرة به بالقدر الذي يظنه، وربما، إذا سنحت لها الفرصة، ستسخر من طريقته الواضحة التي استخدمها على مئات النساء الساذجات من قبل.

وبدأت جويس عملها الجدي في غرفة جلوس جناح آل ويبستر، كانت ايلين ممددة على أريكة من المخمل الأبيض، مرتدية ثوباً من الساتان الأزرق، وبدت جفونها متورمة. وسرّت بهذه الزيارة وقالت معتذرة:

- لقد تأخرت في النوم.. لقد.. تسلينا الليلة الماضية... لقد نمت متأخرة. وأنا أبدو مضطربة... تعلمين هذا.. قليلاً من دوار البحر و..

كانت مضطربة جداً، ولم تكن لبقة بكذبها. وبدت الين وكأنها ستبكي ثانية. وقررت جويس أن عليها تفسير أسباب زيارتها:

www.elromancia.com

- أنا مساعدة مدير الرحلة كما تعلمين. . ونحن. . دائماً نحاول أن نعرف اهتمامات الركاب. . كي نتمكن من تنظيم جولاتنا و. .

- أنا لاأهوى الجولات. . إضافة إلى أنني لا أعرف ماذا أفعل. . دان رتب منزلنا على يد مصمم ديكور، ولم يسمح لي بأن أغير شيئاً. ولم أقدم لابنتي شيئاً من صنعي. . إن لها ذوقاً جيداً. . لقد ذهبت إلى. . أفضل المدارس. . كنت أعيش على ما يرام قبل أن. . أن ينجح زوجي بأعماله.

واستنتجت جويس أن الدكتور على حق، فايلين ويبستر تشعر بعدم الأمان. ولكنها بحاجة لأن تتكلم، وتركتها تتكلم عن ابنتها الجميلة، وعن زوجها الناجح، وعن فشلها. وأخيراً أحست أنها لم تعد تستطيع الكلام:

- أخشى أن أكون أضيّع وقتك. . فأنا لست ناجحة. . بأي شيء.

- أظن أنك لا تقدّرين نفسك حق قدرها. . ويبدو أنك تنظرين إلى نفسك عبر ابنتك وزوجك فقط. . أنا لا أقصد التدخل. . ولكنك شخصية لها كل الحقوق، وأنت شخص جدير بالاهتمام سيدة ويبستر، وأنت. . . امرأة جذابة جداً. فكيف تفكرين بأنك لست مهمة؟

وحدّقت المرأة فيها، ثم، وكأنما خزان مليء قد تشقق بفعل هزة أرضية، انفجرت بالبكاء ووقفت جويس وتقدّمت نحوها وضغطت بيدها على كتف ايلين:

- أحياناً قد يساعدك أن تتحدثي عن الأمر يا ايلين، حتى ولو مع صديقة جديدة تهتم بأمرك.

واندفعت ايلين تروي قصتها عن حياتها مع رجل حديث

الثراء، جعله ثراؤه الجديد فاقد الاتزان وأفسد طفلته الوحيدة بشكل لا يصدق، حتى أن ايلين عندما حاولت السيطرة على لينا، لم تحظ بأي دعم من الوالد. وفي نظر لينا، أمها عدوة، ووالدها هو من يحبها، وهو من اشترى لها سيارة المرسيدس الجديدة بعد أن حطّمت الفراري. وبعد أن طُردت لينا من الجامعة الثالثة التي دخلت إليها، بعد علاقة مدمرة مع أحد الاساتذة الشباب، قرر دان أن يريح أعصاب ابنته برحلة إلى اوروبا. واصطدمت محاولات الأم بمنع ابنتها من العبث بمانعة الوالد. وتابعت ايلين باكية:

- وأنا أزيد الأمور سوءاً. . كل شيء أقوله أو أفعله يجعلها. . . يكرهاني أكثر!

- ولكنهم لا يكرهونك.

- انظري إليّ! أنا لا أطيق النظر إلى نفسي بالمرآة. لن تصدقي هذا يا جويس. . ولكن. . عندما تزوجني دان. . كنت. . مثل لينا أقصر قليلاً، ولكنني كنت خجولة. . لم يكن لديّ حيوية لينا، ولكنني لم أكن بائسة كما أنا الآن.

- توقفي عن هذا. . سبتدأين بالإعجاب بنفسك منذ الغد، وسوف تحضرين جلسات اليوغا وتدريبات الرقص. وبهذا ستخدمينني، فرئيسي يريد هذه الصفوف مليئة. . وهذه وظيفتي.

وترددت ايلين قليلاً. . ولكن لم يبدو عليها الانزعاج لأنها تكلمها كطفلة.

- أظن من الأفضل. . لي أن أفعل شيئاً. . فلن أستطيع توقيف لينا عند حدّها على كل الأحوال.

- توقيفها عن ماذا، ايلين؟

www.elromancia.com

- عن خلق فضيحة كبيرة بشعة أخرى.

ووقفت ايلين وهي تترنح قليلاً، وعبرت الغرفة، ثم التقطت كتاباً من على الطاولة وعادت لتعطيه لجويس:

- عندما تسعى لينا وراء رجل، تكون الفكرة مستحوذة عليها تماماً. وعادة ما تريده لينا نحصل عليه.. وهذا هو أحدث شخص على لائحتها. رجل في عمر والدها.

- مايك روبرتس.

- أجل.. وهي تلعب التنس معه الآن. وإذا بدرت مني كلمة تحذير واحدة، فسيتهمني دان بالدكتاتورية. وبأنني أفسد مرح ابنتنا الصغيرة.

وانتابت جويس نوبة غيرة. ولكن لماذا؟ ألأن مراهقة فاسدة ورجل عابث مشهور هما معاً؟

وغادرت جويس الجناح بعد قليل. بعد أن وعدتها ايلين بأن تغسل وجهها بالقليل من الماء البارد، وأن تضع الماكياج وتخفي احمرار عينيها بنظارة شمسية وتخرج إلى السطح لتشاهد أروع منظر خلال رحلتهم.

- لقد قرأت أن المدخل إلى الميناء هو كالدخول إلى... مكان ما في كتاب قصص.. منازل ملونة لها سطوح مثلثة، من النوع الذي لا تشاهدينه سوى في كتب الأطفال. جسر عائم يتحرك إلى الجانب ليسمح للسفن الكبيرة بأن تمر. سألاقيك عند غرفة المراقبة الزجاجية يا ايلين.. أرجوك لا تفوتي عليك هذا المنظر.

وضغطت ايلين على يدها شاكرة لصداقتها. وصدمت الكلمة جويس.. صديق.. لقد أوضح مايك أنه لن يكون بينهما ما هو أكثر. ولو أنها صدقت كلماته الغرامية لها، فلأنها غير خبيرة

وسهلة الخداع. وله مطلق الحق بالتمتع بصحبة نساء أخريات ولو أنها فكّرت بطريقة حياته، لو أنها أخذت نصيحة ايدى جدياً. فربما تستطيع تجنب التفكير، أو التصرف، والألم مثل فتاة مدرسة غبية لا تعرف الفرق بين «ادونيس» المحب وبين رجل في إجازة، يجري وراء العبث.

www.elromancia.com

٦ـ هروب من الجنة

ابتهجت جويس لرؤية ايلين ويبستر في قاعة الاستراحة الزجاجية على سطح السفينة، بعد وقت قصير. وسرّت بشكل خاص لملاحظتها أنها قامت بتحسينات ملحوظة بمظهرها، ولم تكن لوحدها. فزوجها وابنتها كانا معها، وملكة الكاريبي تدخل بأبهة ميناء «ويلمستاد» عاصمة «الانتيليس الهولندية». وتجنبت جويس لقاء الثلاثي. فايلين مع عائلتها وليست بحاجة إلى صديق متعاطف.

كان ستيف قد قال لها إن من المفيد لها أن تعرف أكبر قدر من المعلومات عن الجزيرة المثيرة «كاراكاو». واعتذر ايدي بروك لعدم قدرته على مرافقتها لرؤية المعالم لأن لديه مريض يعاني عوارض قد تسبب له انسداداً في الوريد التاجي، ولا يمكن له أن يتركه. وبدأت جويس تشعر بالكآبة، متوقعة أن تمضي نهارها في جولة مملة مع الركاب. وفجأة شاهدت مايك يسير بخطى سريعة عبر قاعة الاستراحة متجهاً نحوها، وقال لها متسائلاً:

ـ أين كنتِ؟ كنت أتصل بمقصورتك، وبالمكتب، وأفتش عنك. أظن أننا على موعد.

وشعرت بالفخر والتفوق تقريباً فقد يكون مايك تبادل بضع ضحكات مع الجمال الأشقر بعد التنس، ولكنه عاد إلى جويس. وها هي الآن تقف ملاصقة له. فكيف تستطيع أن تصرفه عنها بملاحظة قاسية؟

وتفرّجت جويس على دخول السفينة إلى ميناء «ويلمستاد» مع مايك. وعلّقا على صفوف المباني الملونة على كلا جانبي القنال، وتكلما عن النكهة الرائعة للثقافات الإفريقية والهندية والاسبانية والهولندية التي تمتزج في هذه الجزيرة النائية.

وحدث بعض التأخير في النزول إلى الشاطىء بسبب الإجراءات مع السلطات، وأثناء هذا الانتظار لاحظ مايك أن آل ويبستر يجلسون معاً يتناولون الشراب، فعلّق قائلاً:

ـ العائلة التي تشرب المرطبات مع بعضها.. ترتبط مع بعضها.

فابتسمت جويس وقالت:

ـ أظن أن واحداً منهم أساء في فهمه للآخرين.

ـ ولكنني أشعر بالأسف على لينا.. إنها فتاة مرحة، عندما تبتعد عن والديها. هم ينزلون في الجناح الملاصق لي كما تعلمين، وأشكر الله على الجدران العازلة للصوت، فهما يتجادلان دون توقف، هل تستطيعين تصور أن تضطر فتاة صغيرة مثلها لأن تعيش مع هذا الأب المتفجر، وتلك الأم الفاقدة الأعصاب؟

ولكن جويس لم ترغب في أن تخبر مايك سبب انهيار أعصاب ايلين ويبستر. ولكنها كذلك لم ترغب في إظهار حسدها للينا

ـ أفهم من هذا أنك تعرّفت بلينا جيداً. إنها جذابة جداً..

ـ ومرحة أيضاً.. إنها تلعب التنس ببراعة

www.elromancia.com

- وهل هي لديها استعداد دائماً لأن تخسر؟

ونظر إليها نظرة متفحصة طويلة، فسارعت لتغطية زلة لسانها بالضحك وأضافت:

- عليّ أن أجرب اللعب، ولكنني لا أعرف من اين أمسك بالمضرب.

وضحك مايك بدوره، واعداً أن يعوّض لها وضعها هذا. ومن الواضح أن ضحكها لفت انتباه لينا. أو أنها كانت تراقب مايك طوال الوقت. وخفق قلب جويس عندما رأتها تقطع قاعة الاستراحة إلى حيث يقفان.

ابتسامتها كانت تصيب بالدوار. وهزّت رأسها لجويس:

- مرحبا آنسة سوير. هل ستأتين مع مجموعاتنا؟ ستتجول في الجزيرة على متن باص.

فقال مايك:

- أخشى أن لا أستطيع الذهاب معكم. فأنا مرتبط مع بقية مجموعة المحامين... وقد خططنا لقضاء يومنا معاً.

خيبة أمل جويس كانت أكبر من خيبة لينا، وتجاهلت وجود جويس:

- أوه.. فهمت.. حسناً، في المرة القادمة. لا بد أنك شاهدت الجزيرة عشرات المرات.

وقبل أن يقول إن هذا غير صحيح. سارعت لإنقاذ ماء وجهها:

- على كلٍ، لقد أمضيت جولة رائعة لوحدي، وأظن أن عليّ أن أقضي بعض الوقت مع العائلة. ولا أرغب في أن يغير والدي رأيه بخصوص جولة تسوق وعدني بها.

- هذا أمر حكيم منك.

واستطاعت لينا إخفاء خيبتها ببراعة ممثلة موهوبة. وابتسمت قائلة:

- ربما أراك على الجزيرة يا مايك.

واستدارت مودعة لتعود إلى والديها.. فالتفتت جويس إليه قائلة:

- ربما أقف في طريقك يا مايك، لم أكن أعلم أنك ذاهب مع زملائك.

فردّ عليها مايك بلهجة ساخرة:

- إنها خدعة. فأنا لم أرغب في أن أختلط بآل ويبستر. أنا وأنت لن نتآلف مع رحلة في الباص، حيث يقال لنا كم من الوقت يجب أن نقضيه في تناول الغداء. فنحن سنضيع معاً مرة أخرى.

وكان هذا بداية يوم من أيام أحلام يقظة جويس اللذيذة. وخرجا من السفينة الى البلدة الصاخبة. وشعرا بالإثارة لوقوفهما على الجسر المتحرك وهو يتحرك ليصبح موازياً للشاطىء ليسمح لسفينة شحن كبيرة أن تدخل الميناء. وتجنبا المحلات التجارية المكتظة بالسواح. وتجولا في الشوارع الضيقة والباصات المليئة بالسكان المحليين، وبالصدفة التقيا بنوع من الاحتفالات المحلية. احتفال خاص لم يُذكر أصلاً في برنامج السفينة. وندما لعدم وجود آلة تصوير معهما، ليصورا مشاهد استعراض للفتيان على نغمات موسيقى فرقة من الأطفال، معظم آلات الموسيقى المستخدمة كانت صناعة محلية، وكانت العصي تضرب نغماتها على القدور والمقالي وحتى على مجارف الحدائق المعدنية. ولكن الأطفال الفخورين، المبتسمين السمر، كانوا يسيرون بفخر، وكل خطوة لهم مليئة بالحيوية الراقصة.

www.elromancia.com

وشعرت جويس بالسعادة، والمرح، عندما ظن أحد الباعة أنهما زوجان يقضيان شهر العسل.

- هل يرغب السيد أن يشتري هذه الحقيبة الجميلة من القش لزوجته الجميلة جداً؟

وأصرّ مايك على شرائها لها قائلاً:

- لقد أعجبني إلحاح هذا الرجل وكلامه.

وضحكا كالأطفال، وحضن مايك جويس باندفاع. وشعرت بإشباع غرورها لأنه اختارها ليمضي يوماً آخر معها فوجدت نفسها تسترق النظرات إليه وهما يسيران في الشوارع الضيقة. مجرد تماسك يديهما جعلها تشعر بالإثارة.. فكيف سينتهي هذا اليوم يا ترى؟

ووصلا في سيرهما وهما يضحكان إلى ساحة فاتنة حيث الألوان الخمرية الغريبة كانت تصبغ كل الأبنية هناك. وكانا يحتسيان شرابهما المثلج عندما عرفت جويس أن مرافقها أكثر من رجل وسيم فاتن، فقد كان مايك شخصاً مشهوراً وتقدم منهما رجلاً في أواسط عمره، يعلق في رقبته عدة كاميرات، وقال:

- أرجو المعذرة.. ولكن.. ألست مايك روبرتس

واعترف له مايك بذلك، ولو على مضض. فالتفت الرجل إلى رفاقه على الطاولة المجاورة.

- ألم أقل لكم؟ إنه مايك روبرتس.

وكانت إشارة الى حشد من السياح الأميركيين للتجمع حول طاولتهما طالبين توقيع مايك. وأخذ يوقع، بصبر، كل شيء يُقدّم إليه من خرائط سياحية إلى مناديل الكوكتيل وفكّرت جويس بأن هؤلاء الغرباء يعرفون عن حياة مايك العملية والخاصة أكثر مما تعرف هي.

وشعر بالراحة عندما عادا أخيراً لوحدهما، وتنهد مايك قائلاً:

- لقد اكتفيت هيا بنا نذهب الى مكان ليس فيه سواح اميركيون وعندما نصل الى «اروبا» و «كاركاس» و «المارتينيك» يجب أن نذهب إلى شاطىء معزول. أو نستأجر سيارة ونهرب من الناس.

- سيكون الشاطىء أجمل.

ومدّ يده عبر الطاولة ليلتقط يدها. عيناه، كما بدت لجويس ارسلتا رسالة صامتة وحساسة مرت في كل جسدها. وقال:

- إذاً أنت لا تلعبين التنس. هل تحبين السباحة؟

- أجل أحبها.

- جميل، أود أن أراك بالبكيني.

- نحن مجرد أصدقاء، أتذكر؟

- أصدقاء مقربون. جويس؟

- نعم!

- لنتناول شيئاً يريح جوعنا، ثم نعود الى السفينة. أريد أن أكون لوحدي معك.

- نستطيع أن نجلس في بار البيانو.. ونتحدث

- لقد تحدثنا بما فيه الكفاية

- نحن بحاجة لأن نتكلم أكثر. أنا لا.. لا أعرف شيئاً عنك.

- أعرف طريقة جيدة لتتعرفي عليّ.

وأشار لإحضار الفاتورة. ثم غادرا الباحة. كيف يمكن له أن يكون منجذباً لها كما هي منجذبة له؟ هذا الرجل المعروف هكذا يريد أكثر من أي شيء. أن يكون لوحده معها.

www.elromancia.com

وكانامتعبينمن السير، فنادى مايك سيارة أجرة. وعندما كانا ينتظران السائق ليفتح لهما الباب شاهدت جويس، لينا ويبستر تقف على بعد خطوات منهما في الشارع، وهي تنظر باتجاههما. وبعدما جلست جويس في المقعد الخلفي نظرت بسرعة إلى وجه لينا، وتحت أضواء الشارع كانت عيناها الخضروان مثبتتان على جويس بحقد غير خفي.

ولكن مايك لم يترك لها فرصة للتفكير بهذه الحادثة. ففي زاوية منعزلة، في قاعة استراحة صغيرة على ظهر السفينة، طلب الشراب لهما، ثم وضع ذراعه فوق كتفيها وجذبها نحوه، وقال هامساً:

- لا أستطيع تذكر يوم أجمل من هذا اليوم.. دعينا نحصل على ليلة جميلة أيضاً.

- ولكننا نمضي الآن ليلة جميلة

- لوحدنا أرجوك.. سأطلب من الساقي إحضار الشراب إلى جناحي، المكان هنا مزدحم كثيراً.

وابتسمت جويس، معظم الركاب كانوا لا يزالون على الشاطىء، ولم يكن من حولهما سوى شخصين لم يكونا يلاحظان سوى أنفسهما. وعاد مايك وجويس ينظران إلى بعضهما، ولم تتحمل جويس هذه الإثارة. ولم يعد هناك سواهما في الدنيا.

- جويس لنذهب إلى جناحي، أريدك لوحدنا.

وكانت تريده أيضاً، ولكنها لا تعرف ماذا سيحصل بينهما وهما لوحدهما.. ألا يعلم، أم أن عليها أن تقول له، إنها لم تعرف رجلاً من قبل، وان قربه منها قد أثار مشاعراً ليست متأكدة من قدرتها على السيطرة عليها، أو لا تريد أن تسيطر عليها.

وشعرت جويس بالحرج عندما تقدّم منهما الساقي بالشراب متنحنحاً كي يلفت نظرهما، فادّعت أنها تتحدث معه:

- اروبا غداً.. أتمنى أن أراها.

واختفى الساقي في الظلام قبل أن يقول مايك:

- طبعاً سترينها.. وسوف نمضي يوماً رائعاً آخر معاً. هذا إذا لم نتأخر في النوم.

- لا.. لن أذهب هذه المرة. إنها نزهة اختيارية.. ألم تعلم؟ العديد من المسافرين سيبقون في السفينة وستقام حفلة ضخمة بعد العشاء.. وسيحتاجني ستيف.

- ولكنني سأفتقدك.

- وأنا كذلك. ولكن عليّ أن أتذكر أنني لست في إجازة.. أتتصور انني أتلقى راتباً لقضاء يوم جميل معك؟

وضحكت. وبرقت عينا مايك بنظرة كانت مثل العناق.. ووقف فجأة، ومد يده ليأخذ بيدها وجذبها لتقف، وفي مكان ما، في غرفة استراحة اخرى، كانت إحدى فرق السفينة الثلاث تعزف لحناً رومانسياً. مما أضفى على جويس شعوراً بأنها تعيش في حلم... بعد بضعة دقائق ستكون لوحدها معه، لوحدهما تماماً.

كانا ينتظران وصول المصعد، وذراعاهما متشابكان عندما رأت جويس لينا ويبستر ثانية. وكالعادة ابتسامتها الساحرة توجهت إلى مايك.

- مرحباً أيها الغريب... لم أرك في الجزيرة اليوم.

وتبادلا حديثاً قصيراً، أعلنت خلاله أن لديها موعداً في الديسكوتيك. ثم قالت:

- هل أنت ذاهب إلى اروبا غداً؟

www.elromancia.com

- لن تفوتني زيارتها.

ونظرت لينا إلى جويس وهي تقول:

- هذا جميل.. وأنت أيضاً؟

- أخشى أن أكون مشغولة على متن السفينة غداً.

وردّت عليها لينا باتسامة، ماكرة، منتصرة. وقالت:

- سأراك غداً يا مايك إذاً.

- حسناً.. سأراك غداً.

وغمر جسد جويس شعور بالقلق، وقد تذكرت أن مايك من الممكن له الحصول على أية امرأة يريدها على متن السفينة. وها هي الآن في طريقها إلى جناحه، بتدبير منه... وسمعت نفسها تقول:

- غير مهم..

- ما هو غير المهم؟

- من غير المهم أن تطلب المصعد

- حبيبتي، ماذا تقولين؟

وجذبت جويس نفسها من قبضته وهي تقول لنفسها: أي نوع من المغفلين يظنني؟ لا فارق عنده لو أنه الليلة يغدق عواطفه عليّ.. أو على أية امرأة أخرى. وبدا على مايك الذهول:

- ماذا دهاك يا جويس؟ منذ دقائق.. ظننت....

- ظننتني ساذجة جداً لأن لا أرى ما هي نواياك.

وأحست بحاجة لأن تجرحه، لأن تعلمه بأن محاولته هذه قد فشلت. فتابعت كلامها:

- طريقتك السخيفة! اوه.. من الواضح أنها تثير الإشفاق أنت

تقول بأنك وحيد... وحيد جداً! وأنا... متفهمة... جداً، جميلة جداً. ولا أستطيع الصبر حتى تكون معي لوحدنا.

ونظر إليها مايك وكأنها جنّت. وربما تكون شعرت بالحماقة والغباء، والإذلال. وأخذ رأسها يدور. والدموع التي ترقرقت في عينيها كانت دموع الغضب، لأنها كادت أن تتركه يستغلها. وفجأة أخذت تضحك عليه، بنفس الطريقة التي كان سيضحك عليها في صباح الغد بعد أن يكون قد نبذها وحوّل انتباهه الى من تواعد معها، الى نصره التالي الذي سيزيد من غروره.

وأحست بيديه تمسكان بكتفيها بقوة:

- جويس توقفي عن هذا! أنت هستيرية!

وفتح باب المصعد، ولكنه تجاهله، وأخذ يهزّ جويس وينظر إليها بغضب:

- من قال لك إن هذه طريقتي؟ اللعنة يا جويس.. أنت تعرفين أنني عنيت كل كلمة قلتها.

وقاومته جويس لتخلص نفسها من قبضته:

- اتركني!.. اتركني.. أنت تؤلمني!

- من قال لك إنني كاذب؟

وهزّها مرة ثانية مما جعلها تشهق. إنه مخيف عندما يكون غاضباً. وقادر أن يكون قاسياً، وأن يؤذيها!

- عودي إلى من نصحك وقولي له إن كل كلمة قلتها لك كانت حقيقية. ولست بحاجة لأن أكذب على النساء. ولقد اكتفيت من كذبهن عليّ! ولكنني أعتقد أن بإمكاني تحمّل الخداع أكثر من تحمل السخرية!

- السخرية؟ ولكنني لم..

www.elromancia.com

ـ كنت ذاهبة معي.. أم أنك كنت تتظاهرين فقط يا آنسة مساعدة مدير الرحلات؟

وأقفل باب المصعد، وترددت قليلاً، ثم دارت وركضت تتعثر عبر الممر. وهي تشعر بأن كل الصراخ والبكاء والشتائم التي تستطيع إطلاقها لن تخفف من الألم الذي تشعر به في داخلها. ولم يحاول مايك اللحاق بها وسمعته يقول:

ـ هناك اسم للنساء اللواتي على مثالك.. وأنا مؤدب جداً، ولن أستخدمه.

وتمكنت بطريقة ما، أن تنزل السلم إلى الطابق الأسفل «لملكة الكاريبي» وبطريقة ما، فتحت الباب.

واستلقت على سريرها، والبكاء الجاف يهز جسدها، فهناك شيء لن تستطع أن تفعله، إنها لن تستطيع أن تقفل باب الذكرى على كلمات مايك روبرتس الوداعية..

٧ ـ وردة حمراء

ولم تستفق جويس من حلم مزعج، بل أفاقت عليه. كانت ملكة الكاريبي لا زالت راسية في «كوزاكاو» والليلة الماضية...

وارتجفت جويس، وأغلقت عينيها، كانت تريد أن تبعد عنها الخجل مما جرى بينها وبين مايك. لقد أغدق عليها الاهتمام طوال النهار وطلب منها الذهاب معه إلى اروبا، وطلب منها أولاً.. وبعد أن علم أنها لا تستطيع الذهاب، قبل دعوة عرضية للانضمام إلى مجموعة أخرى من الركاب، واحدة منهم صدف أنها شابة وجميلة ومغامرة.

وترددت كلمات مايك في ذهنها وهي تتحضر لمواجهة يوم جديد. الانغماس في العمل قد ينحي من ذاكرتها اللحظات الجميلة التي قضتها مع مايك وفي نفس الوقت تلك الغيرة الغاضبة التي ليس لها معنى، والتي أخرجته من حياتها، إذ لم يكن هناك شك عندها أنها لن تمضي بعد الآن أياماً مرحة معه، ولن يكون هناك دعوات للمشاركة في حبه. وعليها أن تنساه. وأن تركز على عملها قبل أن تخسره، بأن تجعل من نفسها حمقاء أمام رجل يبدو لوهلة أنه أعظم من أن يكون حقيقياً وفي اللحظة الثانية متعجرفاً

www.elromancia.com

وقاسياً لا يحتمل.

ولحسن حظها، كان أمام ستيف الكثير ليكلفها به، وفي المكتب الذي يتشاركانه أعطاها لائحة بالمسائل التي عليها أن تهتم بها.

- حفلة الحنين إلى الماضي بعد العشاء للأزواج المسنين. وسأهتم بها، أريدك أن تهتمي بأن لايفوّت العزاب حفلة الديسكو في الملهى.

- وماذا بعد ذلك؟

- وأريد منك أن تتأكدي أن الجميع سيحضر الحفلة المقنعة التنكرية مساء الغد. العديد من الركاب معه لباسه التنكري، ولكن بعضهم ليس معه. فساعديهم ووفّري لهم ما يحتاجون إليه. وفي وقت فراغنا أودّ منك أن تساعديني في تحضير جولة على السفينة لزوجات المحامين. وبما أنك لن تذهبي الى اروبا، فالأفضل أن تحضري إحدى محاضراتي عن الرحلة فيوم ما ستلقين أنت هذه المحاضرات.

وعدّد لها المزيد من الواجبات، معوضاً عن الأيام الماضية، ثم غادر المكتب مستعجلاً، فقد تأخر على حفلة الشاي.

ولم تحضر جويس المحاضرة، فكل من سيذهب إلى الشاطىء سيكون هناك وسيكون مايك هناك، وهي لن تستطيع مواجهته. ومع ذلك فإلى متى تستطيع الاستمرار بتجنبه؟ عند العشاء، عند الافطار غداً صباحاً، في الحفلات المقررة، في الزيارات المقبلة للشاطىء، سيكون أمامها شغل شاغل في أن تتجنبه، والأسوأ من هذا أن قلبها يتألم من التفكير في أنها لو استطاعت أن تتجنبه خلال ما تبقى من هذه الرحلة، فإنها لن تراه ثانية أبداً.

عندما غادرت المجموعة الذاهبة إلى الشاطىء، فتحت جويس مقصورة الثياب التقليدية، ثم بدأت جولة على السفينة للدعوة للحفلة التنكرية.

وبعد الغداء بوقت قصير، شاهدت دان ويبستر يجلس في البار الرئيسي للسفينة وعلى مضض، تقدّمت منه، مذكرة إياه بأن الليلة القادمة ستكون مليئة بالألوان بشكل استثنائي، فهل يملك هو والسيدة ويبستر الثياب التنكرية؟

- أنا لا اهتم بهذه الأمور.. اذهبي وتحدثي مع زوجتي.

- ألم تذهب ايلين الى الشاطىء؟

- لا.. أنا أشعر أنني عندما أرى جزيرة واحدة وكأنني رأيت الجميع. أنا أعمل بجهد، وعندما أرغب في إجازة، أريدها إجازة، أتفهمين ماذا أقصد! ولا أرغب في كل ذلك التسكع في الأماكن القديمة حيث الناس لا يتكلمون حتى اللغة الأميركية، معظمهم.

وسرّت جويس لمعرفتها بأن زوجة دان موجودة في أحد صفوف التمرين. ووجدتها في أحد صفوف الرياضة المخصصة لتنقيص الوزن على أنغام الموسيقى. وكان التمرين عند نهايته عندما وصلت ووجدت ايلين مرتدية الشورت والتي شيرت وهي مفعمة بالحماس.

- أوه جويس، أنا حقاً أتمتع بهذا! وسأكون هنا كل صباح، حتى ولو فاتني رؤية كل المناظر.

ولكن مزاج ايلين تغير عندما رافقتها جويس إلى جناحها لترى ماذا لديها من ثياب تنكرية. وقالت ايلين:

- أردت الذهاب إلى « اروبا » ولكن لينا قالت إنها تريد أن

www.elromancia.com

تكون لوحدها. . . وهل تعرفين ماذا يعني هذا؟ إنها لا تريدني أنا ووالدها أن نقيّد تحركاتها. وما أزعجني حقاً أن زوجي وافق معها.

وأشارت إلى كتاب مايك روبرتس:

ـ لينا ستمضي طوال نهارها معه، على شاطىء معزول، أنا واثقة من هذا. لقد أمضت نصف ساعة أمام المرآة، وهي تجرب مختلف أثواب البحر البيكيني. وأنا قلقة.

ـ أنا واثقة أن كل شيء سيكون على ما يرام.

واستطاعت أن تتصور مايك ولينا معاً. لينا لن تخدع الرجل. وستعرف تماماً ماذا يريد وتتأكد من أن أمله لن يخيب. ولكنها قالت:

ـ سيكون هناك العديد من الناس حولهما

ـ لا أستطيع إلا أن أقلق. . إنه رجل محنك. لقد قرأت كتابه، ولينا صغيرة جداً.

وغيّرت الموضوع فجأة، مظهرة حماساً للأزياء التنكرية التي اختارتها. ووقفت جويس لتخرج، عندما دخل دان ويبستر. فشاهد قطعة ذهبية كانت زوجته تريها لجويس، فصاح:

ـ كم مرة قلت لك أن لا تظهري هذا الشيء؟ أفكر بأن آخذه إلى مكتب المحاسبة ليضعه في الخزنة.

واستدار إلى جويس وقال مفاخراً:

ـ أتعلمين كم كلفني هذا يا فتاتي؟

ونظرت إليه ايلين وبدت غير مرتاحة:

ـ أوه يا دان. . لقد وعدتني أن لا. . .

ـ أنا اعمل بمشقة لاكتساب أموالي، يا صغيرتي. ولا مانع عندي أن يعلم الناس أنني أعتني بعائلتي.

وتركت جويس الشقة بعد قليل، وذهبت إلى مقصورتها. أرادت أن تكون وحدها لتفكر، مع أن أفكارها سوف تزعجها بالتأكيد.

وخلعت حذاءها ثم جلست على حافة السرير. فرأت إناء الزهور الفضي وفيه وردة واحدة على طاولة الزينة. لا بد أن الخادمة قد وضعتها هناك خلال غيابها، ولكن من أرسلها؟

وعلمت جويس من أرسل الوردة الحمراء الوحيدة، بعد لحظات عندما قرأت البطاقة المرفقة بها، والتي تقول:

«عزيزتي جويس

كان عليّ أن أعرف أنك لا تسهرين، ولا تزورين العابثين في جناحهم. لقد كان يوماً جميلاً جداً. هل لنا أن نمضي يوماً آخر؟ وهل نستطيع أن نتكلم بصراحة الليلة؟ سأعود حوالي السابعة مساء. سامحيني وكوني صديقتي.»

مع تحياتي م.ر

لمست الوردة المخملية الحمراء بأصابعها، وترقرقت الدموع في عينيها. إنه يطلب منها الغفران في وقت هي من افتعلت المشكلة وهي التي أفسدت ما كان أروع يوم في حياتها. وتمنت لو أنه الآن في جناحه لتذهب إليه وتعتذر. .

هل مايك آسف حقاً؟ أم أنه يحاول إصلاح ما بينهما لمجرد أنه لا يحتمل الخسارة ويرغب في فرصة أخرى؟ أم أنه يهتم بها فعلاً؟ هل عنى فعلاً ما كان يقول، هل هو فعلاً وحيد وبحاجة

www.elromancia.com

لعطفها وتفهمها؟ وكيف تشعر بهذا الانقلاب في داخلها حول رجل لم تقابله إلا منذ وقت قصير؟ إنه لا زال غريباً عنها، ومع ذلك فليلة أمس كانت على وشك الاستسلام له. هل هي مجنونة لتشعر بهذه المشاعر حول رجل يبدو أنه أبعد من منالها، وهل هذه مجرد لعبة يلعبها مع كل امرأة يقابلها في حياته؟

وتراكمت الأسئلة فوق الأسئلة، وشعرت بحاجتها لأن تكلم شخصاً ما عن الأمر، وأنها بحاجة للمساعدة والنصيحة، تماماً كما كانت ايلين وبستر بحاجة لها. فمن تستطيع التحدث معه؟

كان يجب أن تصرف مايك من أفكارها. إنه مثل المخدر الذي أصبحت فجأة مدمنة عليه. وبينما هي تتحدث مع عدد من زملائه المحامين وزوجاتهم ممن اختاروا عدم النزول إلى الشاطىء، دهشت لمعرفتها أن المجموعة لم يبلغها وكيل سفرهم بأن الرحلة ستتضمن حفلة تنكرية. ولم يكونوا مهتمين بالأمر أيضاً. فقد كانوا لامعين وأذكياء وأثرياء، ويقضون وقتاً رائعاً مع بعضهم. وصاح أحدهم:

- لقد وجدتها. فلنرتدي جميعاً أزياء القضاة الذين كنا نجابههم لصالح زبائننا.

ودوى صوت محامي آخر ضاحكاً:

- هذا مثير.. سيضطر مايك أن يحضر بثياب عيد ميلاده. أيذكر أحد منكم آخر قضية خسرها؟

وأخذوا يتحدثون عن مايك وكأنه نصف إله، ومن الواضح أن له رهبة عند هؤلاء الناس. وأحست جويس بأنها لن تستطيع أبداً أن تكون جزءاً من عالمه، وأنه يعرف هذا، وهو إنما يسلي نفسه معها خلال الرحلة ثم سينساها عما قريب.

وما إن حلّت الساعة الخامسة والنصف، حتى قادتها حاجتها لأن تكلم شخصاً ما إلى مكتب ايدي. وكان ايدي مشغولا بتقطيب جرح اصبع واحد من الطهاة في المطبخ، ولكنه قال لها بأنه سيتصل بها حال أن ينتهي.

واتصل بها ايدي بعد قليل في مقصورتها وقال:

- ماذا أستطيع أن أفعله لك يا جويس؟

- أنا بحاجة لأن أتحدث.

- أنا رجلك. ولديّ فكرة، لماذا لا تأتين إلى مقصورتي؟ سيكون أمامنا وقت لتناول القهوة والحديث، قبل العشاء.

بعد أقل من نصف ساعة، كانت جويس تقرع باب الدكتور. تصرفات ايدي المرحة ساعدتها على الراحة فوراً.

بطريقة ما، بدا ايدي يعرف أن مجموعة المحامين، وعلى الأخص واحداً منهم هو السبب في زيارتها له، فقال:

- قلت إنك بحاجة للتحدث. وأستطيع أن اتخيل ما هو موضوع هذا الحديث.

- اوه يا ايدي.. هل الأمر واضح لهذه الدرجة

- إنه واضح لي.. وبالكاد لا أراكما إلا معاً.

- أرجو أن لا تسيء الفهم.. مايك لا يعني لي شيئاً

- بالطبع لا..

- الأمر فقط.. لا بد أن يكون هناك بعض سوء الفهم أحياناً. أنا لم أعرفه منذ زمن طويل، بل لمجرد يومين و... لقد حدث الكثير. وأنا لا أفهم لماذا.

- سفينة الرحلات مثل سفينة الزمن يا جويس، فالناس هنا مع

www.elromancia.com

بعضهم ليل نهار، هذا شيء، وهناك شعور بالانفصال عن العالم وكأن لا وجود للأماكن الأخرى. وهناك عاملان آخران ممكن أن يكون لهما تأثير..

- وما هما؟

- أولهما، أنك واحدة من أكثر النساء صدقاً، ودون ادّعاء، ودون خبرة، من اللواتي قابلتهن في حياتي، وربما رومانسية من المتعذر شفاءها.. صحيح؟

- اعتقد هذا

- وأنت تتعاملين مع رجل غير عادي، جذاب، وشخصيته ديناميكية، وشهير. ونساء أكثر خبرة منك من السهل أن يدير رؤوسهن. وخاصة أنه يروق لمشاعرك الموروثة.

- يروق إلى ماذا؟

- مشاعرك الموروثة. كل النساء عندهن هذا. انظري يا جويس، لقد قرأت كتاب الرجل، وكان مؤدباً لأن لا يخوض في التفاصيل، ولكن بين السطور، يستطيع القارىء أن يلاحظ بأنه تلقى صدمة مؤلمة. وهو يعلم أنه لا يجب أن يكون مريراً ومنتقداً أو حتى كارهاً لكل النساء لمجرد أن من أحبها خانت ثقته بها. ولكنه لا يزال مضطراً لأن يكون حذراً. ولا يرغب في أن يعرّض نفسه لوضع عاطفي يمكن ان ينهزم فيه مرة ثانية، وهذا وضع معقد متفجر.. اخبريني ماذا حدث.

وقررت جويس أن لا فائدة من الادّعاء بأنها لا تهتم جدياً بمايك. فايدي لا يُخدع بسهولة، إضافة الى أنها هي التي سعت إليه طلباً للنصيحة. وشرحت له كل مواجهاتها مع مايك. وكررت قصة أول لقاء لهما إلى أن وصلت إلى الوقت الحاضر...

حسناً.. تقريباً. فهي لم تستطع أن تخبره أنها كانت في طريقها الى جناحه عندما انفجرت بالغيرة

وهز ايدي رأسه

- وردة حمراء وحيدة في فازة فضية... الورود الحمراء ترمز الى الحب. وعليّ أن أتذكر هذا.

- تتذكر هذا؟ ولماذا؟

- لأنها تظهر اللباقة، والمستوى. في مثل هذا الظرف كنت سأرسل باقة ضخمة... ربما تكونين واقعة في الحب.

- لا يمكن.. أنا.. أنا لست واقعة في الحب يا ايدي.. أنا فقط... فقط مشوشة التفكير..

إذاً، ما هو الشيء الذي يسبّب لها كل هذا الألم في ضلوعها؟ ولماذا تنتظر حلول المساء بفارغ الصبر، لحظة أن يعود مايك الى السفينة، ويتصل بها، أو يسعى وراءها في إحدى الحفلات؟ ومد ايدي يده ليربت يدها:

- أهذه هي نفس السيدة الشابة التي فعلت الكثير لإحدى مريضاتي؟ صحيح أن ايلين لا تسير وهي تضحك، ولكنني أرى فيها شعاع أمل. والفضل يعود إليك.

- اوه.. أعتقد أن كل ماكانت تحتاجه هوصديق.

وتركزت عيناه الزرقاوان عليها، وكانت ابتسامته حزينة.

- كلنا بحاجة إلى صديق يا جويس. كلنا بحاجة. والمشكلة أننا لا نسمح لنفسنا أن نفكر إلى أبعد من هذه النقطة.. لو لم أكن أكبر منك بكثير ولديّ حكمة في هذه الأمور أكثر منك، لما استطعت النجاح معك.

وقال لها إنها قد تعني الكثير له. دون أن يقول إنه وحيد،

وقال إنه يستطيع أن يتعلم كيف يهتم بها أكثر بكثير من صديق. ولكنه يعرف أن جويس لا تستطيع النظر إليه سوى بأنه صديق، وليس أكثر. . . ولم تعد ترغب في أن تتحدث عن مشاكل القلب أكثر من هذا. وأدارت الحديث نحو آل ويبستر، ثلاثة أشخاص يحبون بعضهم على الأرجح، وبطريقة ما فقدوا الاتصال مع بعضهم. وتحدثا عن الجزر التي لم تشاهدها جويس بعد، وضحكا حول تكلف ستيف ماركوري الغريب في التصرف. وجرى تبادل الحديث بدفء وبعيداً عن الخصوصيات، مع أن جويس أحسّت، من وراء كل هذا أن ايدي كان مشغولاً بأفكاره الخاصة، وكانت هي مشغولة بأفكارها الخاصة. وبدت الدهشة على وجه ايدي عندما نظر إلى ساعته، فقال:

ـ أتعلمين كم الوقت الآن؟ سيفوتنا العشاء إذا لم نتحرك على الفور!

ووقفت جويس وهي تشكره على القهوة وعلى الحديث، وعلى تفهمه، فقال الدكتور:

ـ صحيح أنك لم تخبريني الكثير، ولكن ما يكفي لأن أهتم قليلاً. هذا كله أمر جديد وبراق لك يا جويس، فلا تفعلي ما يفعله العديد ممن يحصلون على أول رحلة لهم.

ـ وماذا يفعلون؟

ـ يخلطون بين الجو الرومانسي. . والحب. . فاحذري يا فتاتي الصغيرة. . . أنت أرق من أن تتألمي.

وخرجا إلى الممر، وكان ايدي يغلق الباب، عندما مر بهما مجموعة من المحامين وزوجاتهم، فحيّتهم جويس بابتسامة، ثم. . وكانفجار البرق وسط سماء زرقاء صافية، أخذت تنظر إلى مايك

روبرتس وهو يحدّق بها وهو يراقب المشهد غير مصدق: جويس خارجة من غرفة رجل آخر ولاحظت أن عينيه كانتا تتجولان، من ايدي بروك إلى جويس. وأصدرت صوتاً ضعيفاً، مجرد محاولة لتحية عرضية. وأخرج ايدي مفتاحه من القفل دون أن يلحظ وجود مايك ، وقال:

ـ حسناً يا جويس، لنرى ماذا حضر لنا طهاتنا.

وبقيت جويس دون حراك، وكأنها مثبتة في موقعها. ونظر مايك عميقاً في عينيها وكأنه يوبخ ضميرها. . . لماذا شعرت بالذنب؟ أرادت أن تشرح له أنها إنما تبادلت حديثاً ودياً مع صديق ولكن أية محاولة للشرح سوف تضاعف عقدة الذنب عندها، والاتهام في عيني مايك. لقد كانت عيناه تقولان لها بأنه اعتذر عن دعوتها إلى غرفته لأنه أدرك أنها صغيرة بريئة ساذجة. ولكنه كان مخطئاً. كان مخطئاً جداً. ومضت فترة بدت لا نهاية لها، جمّدت الزمن. ثم تجاوزها مايك متجهماً، دون أن ينبس بكلمة. .

وسمعت جويس الدكتور يقول:

ـ هناك كركند على لائحة العشاء الليلة.

ووضع يده تحت ذراعها وسار بها نحو المصعد

ولم تستطع أن تقول لايدي إنها لا ترغب في الذهاب إلى قاعة الطعام. ولم تقل له إنها فقدت شهيتها فجأة، وسارت معه عبر الممر الطويل. وهي تفكر بذعر بأمسية سوف تكون فيها في نفس المكان مع رجل، قد قامت مرة أخرى، بإغلاق الباب فيما بينهما.

٨ ـ لست ملكك

واستطاعت جويس أن تتحمل مرور العشاء. وجذب انتباهها الحديث المثير الذي تبادلته النسوة الثلاث من كاليفورنيا، اللواتي كنّ يتشوقن لرؤية «كاراكاس» في فنزويلا في الصباح التالي. ايلين ودان ويبستر لم يكونا يتجادلان على غير عادتهما، ولاحظت أن طاولة مايك روبرتس كانت مشغولة بزملائه، ولينا كانت غائبة.

وشاهدتها جويس فيما بعد في حفلة الديسكو للعزّاب في الملهى. شخص واحد في تلك الحفلة بدا أنه ليس بحاجة للتعريف عنه، هي لينا ويبستر الجذابة التي كان الرجال يصطفون ليحظوا منها برقصة.

ولكن لينا لم تبدو أنها تتمتع بالحفلة أكثر مما تتمتع بها جويس وعندما حاولت جويس الانسحاب، أوقفتها لينا قائلة:

ـ هل أنت ذاهبة؟ ولكنني اعتقدت أن عليك البقاء حتى الفجر أليس كذلك؟

وتساءلت جويس عن دوافع هذا الحديث، ولينا عادة تتجاهلها. وتابعت لينا:

ـ آسفة لأنك فوّتي رؤية «اروبا» فأنا ومايك أمضينا وقتاً ممتعاً.

ـ أنا سعيدة لأنك أمضيت وقتاً ممتعاً.

ـ ولكنني واثقة أنه افتقدني على العشاء. لقد نمت قليلاً، لأشحن بطارياتي لهذه الليلة... كان ممكناً ان يفتقدني لولا أنني علمت أنني لن أجلس على مائدته بعد الآن.

هل هذا هو سبب تنازل لينا للحديث معها؟ وقالت جويس:

ـ لست أفهم؟

ـ لا أعتقد أن تغيير مكاني سينفع. إبعاد مايك إلى مكان آمن لن ينفع. فأنا أنوي أن اتناول إفطاري قرب البركة من الآن وصاعداً. او في الفراش. والعشاء في أي مكان نكون فيه على الشاطىء. ومايك يحب تناول الطعام في منتصف الليل.

ـ كلنا نحب هذا.. وأريدك أن تعلمي أنني لست من يدبّر أمر الأماكن في قاعة الطعام... وإذا لم تكوني راضية تكلمي مع «الميتر»

ولم تصدقها لينا، وأصدرت صوت ازدراء. ثم تأبطت ذراع ضابط وقالت «دعنا نرقص يا حبيبي»

ولم تكد تصل إلى أبعد من عشر ياردات عبر غرفة الجلوس الملاصقة لملهى الديسكو، حتى التقت جويس مايك. كان جالساً على أحد المقاعد، ومن الواضح أنه كان يراقب الباب الذي تخرج منه أصوات الموسيقى الصاخبة وكان ينظر مباشرة إلى جويس وهو يقف، ثم يسير نحوها.

وحبست جويس أنفاسها، وجهه كان متجهماً عبوساً. فتوقفت جويس عن السير وابتسمت ابتسامة من نوع ابتسامات

www.elromancia.com

ستيف، وقالت:

- أوه.. مرحباً. هل أنت ذاهب إلى حفلة رقص العزّاب؟

- أنا لا أستطيع تحمل هذه السخافة. لقد كنت أنتظر، آملاً أن تضجري

- لقد كنت ضجرة قبل أن أدخل.. ولكن.. هذه وظيفتي.. هل كنت تنتظرني؟

- ألم تصلك رسالتي؟

- أجل ولكن... اوه.. لم تتح لي الفرصة لأشكرك على الوردة. وهل أستطيع أن أحتفظ بالفازة الفضية؟

- توقفي عن هذا الحديث السخيف. لقد سألتك في رسالتي إذا كان بالإمكان أن نتحدث الليلة. لقد عدت باكراً إلى السفينة وحاولت الاتصال بك، حتى أنني أخذت أجوب السفينة، ولم أتوقع أن أجدك خارجة من غرفة رجل.

- إذا كنت تظن أنني سأقدم لك أي نوع من التفسير، فأنت مخطىء. لقد مررت بي وكأنني غير موجودة.

- لقد صُدمت، ولا مانع أن أقول لك إنها كانت صفعة لغروري. فأنت خذلتيني في الليلة السابقة، وأمضيت ليلة وأنا أفكر بك وقررت أنني مخطىء بأن أتواعد مع فتاة أخرى وأنت واقفة إلى جانبي. وذلك لأنك لم تستطيعي الذهاب إلى «اروبا» ولكنني فهمت بعد ذلك كيف بدا هذا الموعد لك. لذا حاولت أن أعوّض. وأين أجدك؟ أجدك خارجة من غرفة نوم الدكتور!

- إنها غرفة الجلوس! وقلت لك، لن أبرر تلك الإهانة بأي تفسير مني!

وحاولت أن تتجاوزه وتذهب فأمسك بخصرها، وأدارها.

- أنت مدينة لي بتفسير!

- في الواقع لا أعلم أي حق لك عليّ لتسألني عما أفعل؟ اتركني!

- سوف تستمعين إليّ!

- ولماذا؟ لماذا أستمع إليك؟ أنت لا تملكني! حتى أنني لا أعرفك.

وذهبت جهودها للإفلات منه دون جدوى. وقال غاضباً:

- لا.. أنا لا أملكك، وأنت لا تعرفيني.. ولكنني أعدت التفكير بالنساء منذ اللحظة التي أخذتك فيها بين ذراعي. لأنك كنت كل الرقة والعاطفة والانسجام والبراءة.

- لقد كنت ساقطة في نظرك أول مرة تقابلنا بها. وعدت تنظر إليّ كساقطة ثانية. لأنني كنت أتحدث مع.. مع صديق اتصلت به من أجل النصيحة. إذا كنت ستستمر في حياتك معتقداً ان كل امرأة على الارض مخادعة وكذابة و.. و.. وشيء أنت مهذب جداً ولا تستطيع تسميته، فهذه مشكلتك! وأنت حر في أن تصدّق أي شيء عني... أنت غريب كريه، ولا أريد رؤيتك ثانية!

كانت تنتحب، محاولة اجتيازه لتركض إلى مقصورتها. فوقف في طريقها وكأنه الجدار، ومدّ ذراعه وأمسك بيديه بذراعيها بقوة حتى أنها صرخت. وأحسّت بذراعيه من حولها تقطعان أنفاسها، ولم يكن يعبّر عن الحب، بل عن غضبه وإحباطه، وشعرت بأنه يعاقبها، بعنف.

كيف يجرؤ على إيلامها هكذا؟ ومن أين له الحق بأن يتوقع منها الخضوع لمزاجه الظالم؟ ستكون باردة، متصلبة ولن تحاول أن تستكين، إلى أن يضطر إلى تركها.

وعندما تركها، كان يرتعد من الغضب. أم أنه كان يرتجف من مشاعر عميقة في داخله؟ ولم تتحرك جويس على الرغم من

www.elromancia.com

ابتعاد ذراعيّ مايك عنها. ونظر إليها وكأن ما فعله بها قد أذهله. عليها أن تهرب، ولكنها لم تتحرك، وأخذت فجأة بالبكاء وكأنها طفل مصاب.

- أتظن أن بإمكانك أن تفعل بي ما تشاء! وماذا حدث ل... أن نكون أصدقاء فقط؟

- جويس..! جويس أرجوك أن تغفري لي. لست أدري ما دفعني لأن أفعل هكذا.. لم أستطع أن أفكر... ولا زلت لا أصدّق... أنني قادر أن أكون غيوراً بجنون.

- أتغار من شخص مضى على معرفتك به مثلما مضى على معرفتك بي.

وفكّر مايك بهذه الفكرة قليلاً، ثم قال بصوت خافت:

- حاولي أن تفهميني يا جويس. العيب ليس منك.. بل مني أنا. و... شيء قد حصل قبل زمن طويل من لقائي بك.. عندما يؤمن الإنسان بشيء.. يؤمن بالحب.. والثقة الكاملة.. ثم...

وهز رأسه، وهو لا يريد أن يكشف عن المزيد من عذابه العاطفي

- أنا غاضب من نفسي لأنني أصبحت أهتم بك أكثر مما كنت أنوي، أن أهتم بأية امرأة. الغبي نفسه من يضع يده في النار ثانية بعد أن يكون قد احترق بها من قبل.

وكانت جويس قد سيطرت على دموعها، وأرادت أن تمدّ يدها وتلمسه وأن تقول له إن ليس كل النساء مثل تلك التي آلمته بهذا العمق. ولكن مايك وضع ذراعه حول خصرها وقادها إلى الأبواب الزجاجية التي تفتح على السطح. وقال بعد أن خرجا إلى الظلام:

- لقد انتظرت طوال النهار حتى أكون معك لوحدنا. وليس علينا أن نذهب إلى غرفتي. أريد أن أكون معك يا جويس. أريد أن أضمّك لأشعر بأنك حقيقية.

وبقيا في محبئهما المظلم عند الحاجز إلى أن مضى وقت طويل على تناول باقي المسافرين العشاء. وحتى إلى ما بعد وجبة منتصف الليل. وعندما رافقها إلى باب مقصورتها نظر إليها نظرة متعبد وقال:

- غداً يا جويس: سأنتظرك غداً

ثم تركها وانصرف فجأة، حتى بدا لجويس بأنه لم يكن يحتضنها منذ دقائق.. وبعد ذلك بوقت طويل، بدأت تستعيد ذكرى الحنان والعاطفة التي أثارهما هذا الرجل الذي من السهل عليها أن تقع في حبه.. بسهولة.. وخطر. وذكّرت نفسها أن عليها أن تبعده عنها. وأن تتذكر دائماً تحذيرات ايدي بروك.. هل تستطيع بكل بساطة أن تتسلى وتمرح، وأن ترى الجزر معه، وأن تحسدها نظرات النساء الآخريات، ثم تنساه بنفس الطريقة التي ربما سينساها بها عندما تنتهي هذه الرحلة؟ يجب عليها أن تحاول.. فلن تستطيع أن تترك نفسها تقع في حب هذا الرجل- الحلم. ويجب عليها أن تتوقف عن التذكر، كما هي تتذكر الآن، وهي تنتظر النوم، الإثارة في شعورها بالحاجة اليه كلما كانت بين ذراعيه.

www.elromancia.com

٩ ـ حدود الحلم

في الأسبوع الأول الذي تلا، لم تتوقف جويس لتحلّل او تحاول السيطرة على مشاعرها. كان مايك إلى جانبها في أية لحظة ممكن إن توفّرها من وقتها في العمل المتزايد، وفي أي وقت استطاع فيه أن يتهرب من زملائه.

التعرف على جزر الكاريبي كان يمكن أن يكون مثيراً لوحده لجويس. ولكن رؤية هذه الأماكن ويدها في يد مايك كان مصدر إثارة أبعد من التصديق. ومع أنه كان لا يزال يلعب التنس مع لينا في الصباح إلا أنها لم تذكر له شيء عن هذا الواقع.

وتجولا معاً في القسمين الهولندي والفرنسي لجزيرة سانت مارتين. واستأجر سيارة نقلتهما إلى الشواطىء المعزولة حيث هربا من بقية السواح. وتمتعت جويس برحلة أنانية مع مايك.

ثم وصلت الرحلة إلى جزيرة الفردوس «انتيغوا».. حلم أزرق وذهبي وأبيض، يتباهى بشاطىء لامع في كل يوم من أيام السنة. وجرّبت جويس هناك للمرة الأولى الغطس تحت الماء. وشعرت بالفخر لسهولة سباحتها تحت الماء وهما يستكشفان الشعاب المرجانية، التي تعجّ بالأسماك الغريبة اللامعة الألوان. قد

تكون «انتيغوا» جنة التسوق لركاب «ملكة الكاريبي» الاخرين، إلا أنها كانت لجويس جنة عدن، حيث يتلامسان عندما يضع لها القناع، أو عندما يسبحان في الكهوف، ويشقان طريقهما عبر الأمواج المتكسرة، على شاطىء مهجور لدرجة أنهما كانا يعلمان تماماً أن لاأحد يراهما فيه. وعلى أحد هذه الشواطىء، أنهيا سباقاً طويلاً ضاحكاً فوق زبد الأمواج المتكسرة على الرمل، ووقعا مقطوعا النفس فوق الرمال، وجويس لا تزال تضحك، إلى أن مدّ مايك ذراعه يحيط بها في عناق طويل.

كيف لمايك أن يعني في عناقه كل هذه العاطفة في وقت كان قد قال لها فيه إنه لا يريد أية تعقيدات عاطفية في حياته؟ أم أن ما يظهره هو انفعالات مؤقتة؟ من المؤكد أنه يحسّ بأن جويس في قرارة قلبها تعلم أن هناك انجذاباً فيما بينهما، أبعد بكثير من حاجتهما إلى العناق فقط، والشمس تضرب جسديهما.. ولا بد أنه يعرف بأنها تحترق رغبة به، ولن تكون قادرة على مقاومته، ولكن مايك تركها فجأة، ووقف ينفض الرمل عن جسده، ثم جذبها لتقف، وأمسك بيدها وتابعا الركض فوق رمال الشاطىء.

هذه الليلة، عندما عادا إلى ملكة الكاريبي بدا غامضاً، إما لأن ما جرى بينهما لم يعني له شيئاً، إما لأنه خائف من أن يصبح مهتماً بها بشكل زائداً. وأظهر مدى استقلاليته، بمصاحبة امرأة محامية أنثى من بين أعضاء مجموعته إلى حفلة العزّاب صحيح أنها حفلة خصصت للمحامين فقط، فإن باقي الركاب كانوا يتمتعون بليلة شبيهة بليالي «مونتي كارلو» في الكازينو، ألا أنه كان بإمكانه دعوة جويس كضيفة له، وبإمكانها أن تكون متواجدة بحكم عملها، ولكنه لم يقترح عليها أن تحضر الحفلة. وأحست بالغبن، وحتى الغيرة... ولكنها تراجعت وأخذت تنصح نفسها: تمتعي بصحبته، وباهتمامه بك طالما هو يظهره، ولكن لا تخطئي بالاعتقاد

www.elromancia.com

أن هذا كله سيقود إلى الحب!

في صباح أحد الأيام، وهي تقرأ نشرة النشاطات في السفينة في مكتب ستيف، أكّد لها ايدي بروك هذه التحذيرات، إذ هز رأسه بحزن، وبدا في عينيه الاهتمام.

- لم أركِ منذ مدة. أين كنت؟

- أشاهد الجزر فقط، ولا شيء جدي يا دكتور

واقترب ايدي من مكتبها:

- انظري إليّ يا جويس

وشعرت أن عينيه تبحثان في روحها، فتلاقت عيناهما واحست باندفاع الدم إلى جبهها. ولمست يده كتفها بنعومة، ودرست عيناه وجهها وكأنه يفتش عن «فيروس» تحت المجهر، وقال بهدوء:

- لقد أجبت على سؤالي.. وأتمنى لو أستطيع القول بأنني سعيد لأجلك.

- ولكنني فقط أمضي وقتاً طيباً. فلماذا أنت قلق هكذا؟

- أنا أحبك كثيراً يا جويس.. وأتمنى أن لا تظني أنني أغار ولكنني أعرف تماماً ان ليس بمقدورنا أن نصطنع المشاعر.

وسار نحو الباب، ولكنه توقف والتفت إليها قائلاً:

- وعندما التقيتك أول مرة، تأملت.. لقد فكرت أن ربما...

وشعرت جويس أن عيناها قد غشيتا عن البصر. إنها تحب هذا النوع من الرجال المخلصين، ولكنها لن تتفضل عليه بالادعاء أنها تشعر بأي شيء نحوه ما عدا الدفء الأخوي. فقالت بثبات:

- لم يتغير شيء.. وسنكون أصدقاء مقربين يا ايدي.

- بعد أن يغادر السيد روبرتس السفينة.. ولكن عندما يحدث هذا فكيف سيكون شعورك؟ فلو استطعت أن تنظري إليه دون تأثر، ودون أن تري النجوم في عينيك. عندها ستعرفين عما أتكلم، ولماذا أنا قلق عليك. ولكن هذا لم يعد بمقدورك، أليس كذلك؟ وليس من شيء أقوله ليغير الحقيقة.

إنه فعلاً يشعر بالأسف عليها! ورمت جويس القلم من يدها وقد شعرت بالتوتر فجأة:

- لست أعلم لماذا تفترض بأنني سأتألم يا دكتور! فهذا يعني أنني لست كفؤة لمايك روبرتس.

- لم أقل هذا.. بل أظن أنك...

- أنني رقيقة وساذجة وبريئة؟ لمجرد أنني ومايك من عالمين مختلفين لا يعني هذا أننا لن نستطيع.. لن نستطيع...

وتوقفت عن قول إنهما لا يستطيعان أن يحبا بعضهما.. لأن كلمة «الحب» ستبدو سخيفة. وغضبت من ايدي لأنه يشير إلى ما يمكن على الأرجح أن يكون الحقيقة، ولأنه وضع قلبها تحت المجهر، وقرأ أعراضه بشكل واضح. وما أغضبها أن يفكر بها كحمقاء صغيرة عمياء. زحزح ثبات قدميها رجل لعوب وسيم عنده الطريقة الناعمة والتكتيك الضروري والخبرة مع النساء. وشعرت بحاجتها لأن تردّ الضربة لإيدي:

- حسناً، إنه من النخبة، وجميل.. و.. ومن عائلة معروفة.. وغني. ولكن هذا لا يجعلني أبدو صغيرة أمامه.

- كان عليّ أن أهتم بشؤوني الخاصة يا جويس. أعتذر منك.

وقطع الردهة قبل أن تردّ عليه. وأنهت جويس عملها وهي تشعر بالمرض، فايدي لم يكن يستحق كل هذا الهجوم منها.

www.elromancia.com

وسخطت على نفسها وقررت أن لا ترتدي ثياب العشاء. فقد بدأ الثوبان اللذان ترتديهما دائماً يبدوان قديمي الطراز، وخاصة أن لينا ويبستر كانت تظهر كل ليلة في غرفة الطعام بزي مختلف... هل هي تغار! وكيف يكون لها الحق بأن تغار؟

وسألت ستيف إذا كان لا يمانع في أن لا تحضر العشاء هذه الليلة فقال لها:

- يا عزيزتي، بالمزاج الذي أنت عليه، لن أريدك أن تكوني مع المسافرين. لقد كنت مندفعة جداً في عملك، وأصبحت متوترة. اذهبي واستريحي. ولكن لا تتركي نفسك تجوعين، خذي بعض الشاي والسندويشات معك إلى المقصورة.. وارتاحي. فنحن لا نريد رؤيتك كئيبة هكذا.

كانت طريقة لبقة منه لأن يقول لها إنها تبدو بحالة فظيعة. وفيما بعد وهي تنظر إلى المرآة أحسّت أن الإرهاق ظاهر عليها. وبدا لها أن كل تفكير يخطر في ذهنها لا بد أن ينعطف باتجاه مايك روبرتس. وتأرجحت أفكارها بين غضب، من دون سبب منه، وبين الشوق لأن يكون إلى جانبها.

والتقطت كتابه عن الطاولة بقربها، وقررت أن تقرأ إلى أن تشعر بأن عيناها ستغمضان، وبدلاً عن ذلك وجدت نفسها تتأمل صورته على غلاف الكتاب... إنه مشغول الآن باجتماع مع اقرانه المحامين، ووعد أن يتصل بها في الصباح فهل سيفعل؟ إنها غير قادرة على أن تكون واثقة منه أبداً. لقد وعدها بتعليمها لعبة التنس، ولكنه لم يفعل، فقد كان مشغولاً جداً باللعب مع الشقراء الجميلة التي تشكل تحدياً حقيقياً له... لماذا يستمر في التسلل إلى أفكارها، تاركاً جسدها يغرق بالحرارة والعرق، في وقت كانت قد خرجت فيه لتوها من تحت الدوش، والغرفة مكيفة؟.

ووجدت نفسها تقرأ قصة إحدى المحاكمات المختارة التي دافع فيها مايك. وقلّبت الصفحات بحثاً عن المزيد من المسائل الشخصية، إلى أن تراقصت الكلمات أمام عينيها، ولفّها النوم وكأنه ستارة مخملية سوداء.

واستيقظت على رنين الهاتف. وكان مايك. بدا صوته نضراً، ومتحمساً، غير مدرك تماماً، للدمار الذي أحدثه داخل جويس.

- اصعدي إلى السطح لتشاهدي أجمل منظر رأيتيه في حياتك. وسوف نتناول الأفطار ثم ننزل إلى الشاطىء لنمضي يوماً عظيماً!

وارتدت جويس ثوباً ازرق يميل إلى الخضرة، وهو الثوب الوحيد الذي لم تكن قد ارتدته بعد خلال هذه الرحلة، وربطت شالاً حريرياً أبيض وأصفر على رقبتها. ما مر بها يوم أمس من بؤس، كان مزيجاً من تعب جسدي وحساسية زائدة. وها أن مايك قد اتصل بها الآن، وستمضي يوماً رائعاً آخر معه. قلبها كان لا يزال يخفق عندما التقت به، ولن تدع أي تحذيرات سمعتها تتدخل في ما تشعر به من سعادة في تلك اللحظات، وسار نحوها بخطوات واثقة.

وتبادلا الحديث بطلاقة خلال الإفطار قرب بركة السباحة، ولوّح مايك لأصدقائه دون أن يدعوهم للانضمام إليه، لقد أوضح بجلاء أن هذا اليوم مخصص لجويس، ولجويس وحدها!

ثم... المارتنيك! هل هناك مكان آخر في الدنيا مثل المارتنيك؟ وقال لها مايك:

- انها باريس... بعيدة أربعة آلاف ميل عن برج ايفل. ولكن ليتنا كنا فعلاً في فرنسا.

www.elromancia.com

وتسوقا الصناعات اليدوية المحلية، واستأجرا سيارة أخذتهما إلى سانت بيير، حيث دفن جبل «بيليه» بلدة كاملة تحت رماد بركانه. وتذكرا حب نابوليون وجوزفين، فقد دعت الامبراطورة هذه الجزيرة بوطنها. قبل تناول الغداء في حانة لاتينية صغيرة، توقفا في معرض غريب الطراز واشتريا لوحات صغيرة جميلة، وعلمت جويس أن الفنان قد رسمها في المارتنيك قبل أن يستقر في أميركا الاستوائية. وبعد الظهر وجدا واحداً من الشواطىء المثالية، معزول تماماً عن تدخل الإنسان في الطبيعة. وسارا فوق الشاطىء على الرمال الفضية حتى تعبت أقدامهما، وجويس تشعر بسعادة أكبر من أي سعادة تذكر أنها شعرت بها في حياتها.

كم سيستغرق فتاة صغيرة ساذجة غبية، لتدرك أن رجلاً مثل مايك روبرتس لا يمكن له أن يقع في حبها؟ أكانت هذه الفكرة السبب الرئيسي لإفساد الحديث الذي جرى بينهما فيما بعد لمجرد زيادة التعارف ولماذا أحسّت بحاجتها للجوء إلى وسيلة الإيلام قبل أن تتألم هي، والتي يعرف مايك كيف يلعبها جيداً؟ الآن مايك كان مرحاً عذب المعاشرة، مع أنه حتى الآن، هذا اليوم، لم يحاول أن يلمسها أو يعانقها؟

كانا يتحدثان عن كتاب مايك، والحالة النفسية التي كان عليها عندما كان يكتبه.

- كان عليّ أن آخذ هذه الإجازة بعد محاكمة «اشبون» فوراً. لكنت أدركت أن العالم لا يفكر فقط بدفاعاتي ومحاماتي. فالأمواج تستمر في ضرب الشواطىء، والشمس تستمر في الشروق فوق الاشجار، والأصوات تستمر في الظهور على الشواطىء. فالأشياء الخالدة تساعدك على وضع اهتماماتك الصغيرة المثيرة للشفقة في أبعادها الحقيقية.

- ولكنك لو قمت بهذه الرحلة منذ زمن، لما التقيت بك.

- ولما التقيت بك أنا أيضاً. . ولكنك تعرفين ماذا أعني، لقد كنت أرهق نفسي معتقداً أنه لا يوجد عالم سوى الذي أنا متورط فيه.

وأظهرت جويس تفهماً للعذاب الذي مرّ به مايك خلال مرافعته عن شاب آمن أنه أُتهم زوراً بجريمة قتل. كانت كل الشواهد ضد موكله، وكان عليه أن يواجه والدة الشاب يومياً دون أن يكون قادراً على منحها الأمل أو هكذا قرأت جويس، مما دفعها للسؤال:

- هل كنت تظن حقاً أنك لن تربح القضية؟ أم أنك جعلت الأمر يبدو بهذه الخطورة، لمجرد إضفاء التأثير الدرامي عليها؟

- لقد كنت أواجه نزاعاً مستحيلاً.

- ولكنك استفدت من كل هذا في كتابك. أعتقد أن مجرد إقناع الناس بأنك تواجه الهزيمة، يزيد من تأثير انتصارك.

- هل هكذا بدوت لك؟ وكأنني أحاول إيجاد الأعذار لنفسي، وأن أحيط شهرتي كمحامي بالدرامية ؟

- حسناً. . لم تكن متواضعاً، لقد حضّرت نفسك لأن تصبح بطلاً يتغلب على العراقيل الصعبة.

- هل كنت مسرورة بنتائج تلك القضية؟ كيف شعرت نحو النتيجة النهائية يا جويس؟

- أوه. . لقد عرفت كيف ستنتهي المحاكمة، طبعاً.

- لقد انتصرت، وزبوني حصل على البراءة، والصحافة ، وكل زملائي حيوني كبطل انتصر في معركة العدالة.

- لنواجه الحقيقة يا مايك، أنت تبرز دائماً عند القمة، أنت

www.elromancia.com

كذلك؟ وأنت تعرف تماماً كيف تناور القضاة وهيئة المحلفين. وأنت تعرف كيف تجعل الناس يعجبون بك.. ويحبونك، ساعة تريد. إنها موهبة نميتها وليست فناً.

وبدا على مايك الذعر:

- لقد أعطيتيني تماماً الوصف الكلاسيكي لمستغل!

ووقف على قدميه، والتقط منشفته لينفض الرمل عن جسده مبتعداً قليلاً.. ثم عاد نحوجويس ولبس حذاءه ووضع قميصه على ذراعه. وعلمت جويس أن لا فائدة من محاولة محو كلماتها القاسية. لم تكن تقصد أن تبدو بهذه القساوة.. فماذا قصدت بالضبط؟ لقد عنت فقط أن تدع مايك يعلم بأنها قديرة كفاية له لأنه ليس إلهاً قد نزل لتوه عن جبل اوليمبوس وعلمت أنه غاضب. ولإنقاذ ماء وجهها سألته:

- هل حان موعد الرجوع إلى السفينة؟

ولم يكن الوقت قد حان، فهناك ساعة أخرى قبل أن تغيب الشمس. ولن يكون ضرورياً وجودهما على السفينة سوى قبل نصف ساعة من منتصف الليل، موعد الإقلاع.

عدة مرات، خلال توجههما إلى الميناء، حاولت جويس أن تعترف بأنها لم تقرأ كتابه جيداً. ولكن الكلمات لم تخرج منها. وعلى متن السفينة رافقها إلى أقرب مصعد. وقال لها بأدب «تمتعي بأمسيتك»

ما عدا مساعدة ستيف بالترتيبات لجولة في السفينة في اليوم التالي، بقيت جويس لوحدها طوال ما تبقى من الأمسية. وحبست نفسها في المقصورة وهي تشعر بكراهية نفسها لإصدارها هذا الحكم الأبله المهين على مايك. لم يفعل رجل من قبل ما فعله لإسعادها. وهو لا يستحق بأن تدعوه بالمستغل. وتصرفاته المتباعدة عنها أخبرتها أكثر من الكلمات أنه لن يسعى لرفقتها بعد الآن.

كان الراديو يذيع موسيقى ناعمة عاطفية، فأقفلته جويس وهي تعلم تماماً أنها لو استمرت بالاستماع إليه فسوف تلجأ إلى البكاء. وفكرت بقراءة كتاب مايك، أن تقرأ حقاً كل كلمة فيه، لتعلم لماذا غضب لملاحظاتها. ولكن قراءة الكتاب لم تكن طريقة مجدية لإبعاده عن ذهنها. فقد كانت خائفة. خائفة من أن تقع عميقاً جداً في حبه وأن تتعرف على مرارة الصدّ، وأن تشعر بالإذلال قبل أن يغادر الجميع متن السفينة. فلو أن ايدي بروك استطاع أن يلاحظ مدى تعلقها بمايك، فلا بد أن الجميع قد لاحظوا كذلك.

بعد عشرة أيام سيغادر مايك السفينة، ولن يكون لديها خيار سوى نسيانه، ربما لم يعانقها اليوم لأنه كان يحضّرها للأمر المحتوم. إنه لطيف جداً مع جويس المسكينة، الغبية، العطشى للحب. والوقت المناسب لبدء النسيان هو الآن تماماً..

وكانت جويس لا تزال تفكر بهذا الوضع المبؤوس منه عندما صفّرت «ملكة الكاريبي» صفير الوداع للمارتنيك، وانزلقت مبتعدة إلى عرض البحر..

١٠ ـ حب يتحدى المنطق

لحسن الحظ، وجد ستيف ماركوري الكثير من العمل لجويس في الأيام التي تلت. ولم تشاهد مايك كثيراً، كانت تتهرب من طريقه كي لا تراه. وشغلت نفسها بالعديد من مهمات وظيفتها، وعملت مع المحاسب، وفي تحضير زيارات خاصة للشاطىء للمهتمين بلعبة الغولف للرحلة القادمة. وخططت لحفلات لاساتذة الفنون والرسم، ولتحضير الغرف لحلقة دراسات المحامين. والتعليمات لحفلة وداع القبطان لآخر ليلة لهم في البحر.

العمل والتعلم لما يجب أن تفعل، كان خشبة الخلاص لها فلو أنها بقيت مشغولة، فسيكون أمامها وقت أقل للتفكير بمايك روبرتس. ولكنها لم تستطع الاستمرار في أن تكون مشغولة بما فيه الكفاية. ووجهه كان أمامها ليل نهار.

من الأفضل لها لو أنها تبقى طوال يومها في مكتب إدارة الرحلة، ولكن مهامها المتنوعة كانت تصل بها إلى مختلف زوايا السفينة. كانت تستطيع تجنبه في قاعة الطعام، ولكنها لم تستطع تجنب رؤيته وقد حوّل اهتمامه إلى لينا ويبستر.

ورأته جويس مع لينا يلعبان التنس عند الصباح، ويضحكان ويتحدثان فيما بعد، ورأت ذراع لينا تلتف حول مايك بتملك وهما يسيران معاً نحو القاعة التي اختاراها لتناول العشاء. لون بشرتيهما أصبح قاتماً أكثر، على الارجح لقضائهما أوقاتهما على أحد الشواطىء الذي هو فخر الريفيرا الكاريبية. وكان مؤلماً لها أن تتذكر أكثر الإطراء الذي بدر عن أحد رفاق جويس على طاولة العشاء عندما خطا مايك مع لينا إلى حلبة الرقص:

ـ أليسا زوجاً جميلاً؟ هذا الرجل الوسيم يعرف كيف يختار. وهو بالتأكيد يختار الجمال!

وكان هناك شيء سعدت به جويس. فايدي بروك قبل اعتذارها وفهم لماذا كانت متوترة وغير منصفة له، وقال لها:

ـ كلنا نتوتر قليلاً في بعض الأحيان.

ـ وخاصة عندما يبلّغنا شخص ما حقيقة لا نود سماعها.

وصرف الدكتور النظر عن الموضوع بإشارة من يده، مكتفياً بأن يكون مجرد صديق لها. وكأصدقاء، سوف يزوران ما تبقى من الجزر على لائحة زيارات «ملكة الكاريبي» معاً.

وبوجود الدكتور كمرافق لها، أنقذت جويس من الإذلال عندما شاهدها مايك تغادر السفينة، أو عندما كان يلتقي بهما وهو برفقة لينا في المحلات، والمطاعم الرائعة التي تشتهر بها منطقة الكاريبي الفرنسية. كبرياء جويس أُنقذ. فقد حظيت باهتمام أحد أبرع الأعضاء المميزين بين طاقم السفينة المحترفين.

ولكن «إنقاذ ماء الوجه» لم يكن كافياً، ففي بعض الأحيان عندما كان من المستحيل تجنب لقاء مايك، كانت عيناه تحدقان بها بنظرة تلاحقها لعدة ساعات فيما بعد. وكانت تستطيع تجنب النظر

إلى وجهه، ولكنها عندما تخلو إلى نفسها في مقصورتها ليلا، يبرز وجهه أمامها يبتسم . . وها هي الآن لينا دائماً إلى جانبه، متعلقة بذراعه، تداعبه، وتبتسم له وفتكت الغيرة بأفكار جويس وجسدها. وغضبت من نفسها لإبعادها مايك. وأغضبها التفكير بأنه قال لها إنه يريدها وقد أفسدت كل شيء ببضع كلمات لم تفكر فيها.

ومع أنها حاولت إخفاء مشاعرها عن ايدي، إلا أن بؤسها لم يكن ليخفى. وفي إحدى الأمسيات، وفي بار البيانو فوق السفينة، راقب ايدي مايك ولينا يتبادلان الحديث في زاوية من زوايا الغرفة. وربت على يد جويس قائلاً:

- لا تدعيهما يزعجانك. إنهما من نوع واحد. وربما يستحقان بعضهما.

- ولماذا يزعجاني؟

وهزّت كتفيها بعدم اكتراث زائف، وكانت تعرف تماماً لماذا، والأسوأ أنها تعرف أن ايدي يعرف أيضاً.

يبدو أن هناك ما يذكّرها بمايك في كل مكان. فقد دعتها ايلين ويبستر إلى جناحها لتناول غداء متأخر من فطائر «الماندرين» والشراب المثلج. وبدت روحها المعنوية مرتفعة.. ومع ذلك اعترفت لجويس بأنها لا تزال تعاني الصعاب من أفراد أسرتها.. فسألتها جويس:

- أين هما؟

وتظاهرت ايلين بالابتسام، وكأن الأمرسيان لديها

- أوه.. أنا متأكدة أن دان قد وجد له أرملة ليثير الصخب من حوله في البارات. ولينا؟ إنها لا تحضر إلى هنا سوى لتغيير ملابسها

بين الموعد والموعد مع جارنا الشهير... جويس أنا لم أرها قبل الآن ملتصقة بأحد هكذا. عندما تخرج لاصطياد رجل، ممكن أن يتوقف العالم حيث هو دون أن تلاحظ هذا.

وأحست جويس وكأن أحد قد غمر قلبها بالثلج، فقالت:

- إذاً ابنتك تتمتع بوقتها. وهذا ما أردتيه لها عندما حجزتم لهذه الرحلة.

- أجل، أردتها أن تكون سعيدة. ولكنني أتمنى لو أنها تتورط مع شخص من عمرها. وزوجي مقتنع أن السيد روبرتس سيكون له تأثير استقرار على لينا. فهو يتأثر كثيراً بالرجال المتعلمين والأغنياء. وهو يعرف تماماً أن أهله كانوا مزارعين فقراء. وربما يكون على حق.. لينا قد تكون محظوظة للزواج من رجل من طبقة مايك روبرتس. وربما تبدأ التصرف كراشدة.

وتمنّت جويس لو أنها لم تسمح أصلاً للحديث عن مايك أن يبدأ، وتمنت أيضاً بأن لا يظهر عليها الحسد عندما سألت:

- هل الأمر.. جدي هكذا؟ وهل تظنين السيد روبرتس.. هل طلب من لينا... أن.. تتزوجه؟

- لا أعلم.إنها لا تثق بي.. ولكنهما يمضيان كل ساعات يومهما معاً. وقد بدأ الأمر يبدو.. جدياً. مع أنني لا أستطيع القول إن الرجل ودي مع والدها أو معي.. ولكنني لم أرى لينا مصممة هكذا من قبل على الحصول على رجل.

وتابعت ايلين تتذكر يوم كانت تشابه ابنتها، وكان الرجال يرمون بأنفسهم عند قدميها، ثم عادت لسرد قصص نجاحات ابنتها مع الرجال. وسرّت جويس للخلاص. بعد أن تحججت بعمل شاق ينتظرها في المكتب.

www.elromancia.com

فيما بعد أخذت جويس تنظر إلى خزانة ملابسها، وتخيلت نفسها مرتدية أحد ثوبيها المخلصين لها وهي تراقب دخول لينا مرتدية ثوباً كلّفها ما قد تكسبه جويس في شهرين. ولينا كانت دائماً جميلة، وهي ترتدي ثوبها الأبيض المطرز، وتجعل مايك دائماً فخوراً بأن يكون مرافقها إلى أفخم حفلات العشاء... وربما كان يشعر بالإحراج لدخوله مع جويس.

ولم تقل لايدي كيف أنها تشعر وكأنها قديمة الطراز أمام لينا ويبستر، ولكنها أخبرته عن حديثها مع والدتها. فقال ايدي:

- ربما يعطي هذا لوالدها إحساساً بالأهمية، لأنه يفسد ابنته.

- ولكنها تملك ذوقاً رائعاً.

- في اللباس أجل.. ولكن في الناس، لست واثقاً من هذا

ولم تعلق جويس على كلامه. فهو يساعدها على التذكّر بأنها أفضل بكثير أن تكون لوحدها بدون مايك روبرتس الذي يقودها نحو تحطيم قلبها. وما لم تستطع أن تخبره به، هي الحقيقة: أن مايك نادراً ما يغادر أفكارها.

وكم كان عذاباً لها أن تعلم أن مايك سيزور «سانت توماس» أول مرفأ تزوره السفينة في جزر «فيرجيني» مع لينا! ورؤية «شارلوت امالي» عاصمة الجزر، مع ايدي سيكون مبعث سعادة لها، ولكنها ستمضي اليوم وهي تفكر كيف كانت ستمضيه مع مايك، كما فعلت عند زيارة «سانت جوان».

وكان ايدي متشوقاً كي يريها جزر «فيرجين» وأخذها إلى قمة «فلاغ هيل» بواسطة القطار الهوائي. حيث أشرفا من فوق أحد المواقع على انسجام اللونين الأزرق والأخضر تحتهما. بعد ذلك انضما إلى العديد من السواح من ملكة الكاريبي وعدة سفن

سياحية أخرى، في التسوق من المحلات الجميلة في «شارلوت امالي».

وبينما هما يتجولان من محل إلى محل، ويتمتعان برؤية الأبنية على الصفين من الطراز الدانمركي والهولندي والإسباني والفرنسي، اكتشفت جويس، على الرغم من أن البضائع أرخص بكثير مما هي في موطنها، فإنها تُقدم إلى السياح ممن يستطيعون تحمّل مصاريف رحلة بحرية كهذه، وليس إلى الموظفين من أمثالها.

وتركها ايدي بعد قليل ليشتري علبة «توباكو» لأحد مرضاه، أوصاه عليها. ثم عاد للانضمام إليها بعد وقت قصير:

- لم أجد ما أريد.. إذا كنت اكتفيت من التسوق، سنستدعي سيارة تنقلنا إلى خليج «ميغان»

خليج ميغان، كما عرفت جويس، هو واحد من أجمل الشواطىء في العالم. ولم يكونا قد جلبا معهما ثياب الاستحمام، ومع ذلك فقد شعرا بالراحة وهما جالسان على مقاعد، يتفرجان على القوارب، ويتحدثان بسهولة حول مواضيع مختلفة، وفجأة حبست جويس أنفاسها لرؤيتها مايك يركض عند حافة المياه الذهبية، ووراءه تماماً، تركض لينا لتلحق به.

ولم يسع ايدي سوى أن يلاحظهما، ولكنه تظاهر أنه لم يفعل. وقبل أن يستدير مايك ولينا ليركضا إلى القسم الذي يجلس ايدي وجويس فيه، التفت إلى جويس وقال لها:

- أنا ميت من العطش. هل ترغبين في تناول شراب في أحد أماكني المفضلة؟

وآلمها أن تعرف أنه يشعر بالأسف عليها. فهل كانت ردة فعلها لرؤية مايك واضحة جداً؟ وبعد أن تناولا المرطبات، نظر

www.elromancia.com

إلى ساعته وقال إن لديه موعد مع مريض، ويأمل أن لا يخيب أمل جويس إذا عاد إلى السفينة.

كيف عرف ايدي أنها تريد الهرب إلى مقصورتها، وأن ترمي نفسها على سريرها، وتبكي إلى أن لا يعود هناك من دموع في عينيها؟

من الواضح أنها غرقت في النوم. واستيقظت على صوت قرع على الباب. وعرّف الطارق عن نفسه بأنه الخادم وقد جلب لها علبة قال إنها وصلت من أحد المحال في المدينة. ولم يكن معها بطاقة ولم تعرف من أرسلها أو ما فيها.

بعد نصف ساعة، وقفت أمام المرآة وهي مسرورة بالثوب الرائع بأكمامه التي تشبه الفراشة، نفس الثوب الذي أبدت إعجابها به أمام ايدي. واتصلت به لتقول إنها لا تستطيع قبول هذه الهدية الثمينة.

- ستجدين شيئاً مناسباً لي يوماً ما.. وسأبدأ باعطائك بعض التلميحات، أنا أجمع الخرائط القديمة، وأجنّ بالكريستال الهولندي. هل الثوب مناسب لمقاسك؟لقد قلت إنه مقاسك، ولكنك لم تجربيه.

- أوه يا ايدي.. كيف تفعل شيئاً كهذا؟

- لأنني سأرافقك إلى حفلة القبطان، وأريد أن تبدو أجمل فتاة على السفينة، أجمل مما هي بكثير.

ولم يكن أمامها إلا أن تشكره.. كيف عرف أنها لم تعد تطيق الظهور ثانية في واحد من ثوبيها؟

وبعد أن علّقت الثوب الأصفر بعناية في خزانتها، تمنّت جويس لو أن الحب ينقاد وراء الذوق السليم بدلاً من القلب.

فمن المؤسف أن لا تستطيع أن تحب ايدي، فهو واحد من الأشخاص الألطف وأكثر مراعاة لشعور الغير، ممن قابلتهم في حياتها.... ولكن.. الحب... الحب يحدث هكذا بكل بساطة... ولا يمليه المنطق ابداً...

كان يجب أن تفكر بايدي عندما جرّبت الثوب ثانية عند المساء.. لم تمتلك في حياتها شيئاً يماثله، ولم تظهر بشكل أفضل أبداً. ومع ذلك فعندما نظرت إلى نفسها في المرآة معجبة لم تكن تفكر بالدكتور.. بل كانت تتخيل نفسها تدخل غرفة الطعام، في الليلة الأخيرة من هذه الرحلة، وتصورت عينا مايك وهما تنظران إليها بإعجاب، أوه ولكن لن تضاهي امرأة في السفينة منظر لينا وهي تدخل قاعة الطعام بذلك الثوب الأبيض المطرز، ولكن ألم يقل لها مايك يوماً بأنها جميلة؟ وقد ينظر إليها هكذا ثانية. وقد يتبادلان الحديث، وقد تحاول التفكير بالكلام المناسب لتقوله له، ربما، مجرد ربما...

وأعادت الثوب إلى الخزانة، ستكون شاكرة لايدي للأبد. أما الآن فأمامها ليلة للانتظار، ليلة قد يلاحظها مايك فيها قبل أن يغادر السفينة، وقبل أن يسير خارجاً من حياتها ومن أحلامها إلى الأبد.

وقبل أن تغفو... اشتاقت ذراعاها إلى الرجل الذي تعلم الآن علم اليقين بأنها تحبه.. حتى أنها تركت نفسها تحلم بأنها بين ذراعيه، تسمعه يقول إنه بحاجة لها، ويريدها، وعليه أن يمتلكها.

لقد كان حلماً غبياً، وعلى الأرجح حلم لا أمل فيه. ولكن الثوب الأصفر بأكمامه الشبيهة بالفراشة، جعل الأمر بطريقة ما، حلماً رومانسياً، ربما.. من المحتمل.. أن يصبح حقيقة.

www.elromancia.com

١١ - زيارة عند منتصف الليل

باكراً في الصباح التالي، وملكة الكاريبي تشق عباب الكاريبي الأزرق في طريقها إلى «تورتولا» في جزر «الفرجيني» البريطانية، شاهدت ايلين ويبستر مستلقية على كرسي طويل تحت الشمس. وكانت لوحدها، تتأمل في البحر، وعيناها بعيدتان عن الكتاب الذي في يدها.. وابتهجت لرؤية جويس ودعتها للجلوس على مقعد مجاور لها.

- دقيقة واحدة فقط. أعلم كم أنت مشغولة.

وسألتها ايلين عن أعمالها، وذكرت بعض شكاويها المعتادة حول زوجها. ولكنها كانت قلقة في كلامها عن ابنتها:

- لينا حساسة جداً من قلة النوم، حتى أنك عندما تقولين لها «صباح الخير» تصيح في وجهك.. أوه يا جويس أعلم أنها غارقة من رأسها إلى قدميها بحب ذلك الرجل... ولا يمكن أن يكون هو جاد في الاهتمام بها

- ولماذا تفترضين بأنه لا يمكن أن يكون جاداً؟ إنهما.. بالتأكيد يبدوان... أعني يمرحان معاً.

- يمرحان أجل.. ولكنه ليس من النوع المتقلب السطحي. إنه رجل جدي في الحياة، وفي عمله وقيمه. ولينا طفلة متهورة. وليست شخصاً قد يرغب في تقديمها إلى أصدقائه في مهنته.

وضربت على الكتاب الذي تمسكه، وتابعت:

- تستطيعين أن تشعري بالإعجاب بهذا الرجل عندما تقرأين كتابه هذا

الحب والإعجاب أمران مختلفان. وجويس ترفض أن تترك أي إنسان يعرف بأنها تحب مايك. وهي تريد أن تعبر فوق واقع أنها قد انفصلت عنه لأنها لم تكن معجبة به ككاتب. فقالت:

- انطباعي من الكتاب أنه معجب بنفسه كثيراً. ولقد كرهت ذلك الجزء منه عندما صوّر نفسه كفارس يبرق في سلاحه الكامل، في مواجهة أكثرية لا يمكن التغلب عليها.. ثم، بالطبع.. تأتي المحاكمة...

- أية محاكمة؟

- محاكمة الشاب المتهم بجريمة القتل، وتلك الإشارات المثيرة للشفقة عن أمه المسكينة. إنها تبدو كرواية تلفزيونية، حيث تعلمين فيها أن البطل سينتصر في النهاية..

وكانت جويس قد بدأت تقتنع بأنها محقة في انتقادها لمايك:

- أنا لم أقرأ الفصل كله، ولكنني أستطيع تخيّل أن والدة الشاب رمت بذراعيها حول رقبة المحامي الذكي، شاكرة إنقاذه حياة ابنها البريء.

- ولكن هذا لم يحدث؟

- ما هو الذي لم يحدث؟

- إنه لم يبرئه.. لقد خسر السيد روبرتس القضية..

www.elromancia.com

- خسر.. القضية؟

- لقد حصل على حكم بالسجن المؤبد. ولكن الزبون كان مذنباً.. لقد غضب يوماً وتحول إلى العنف. وأخذ يشتم محاميه بكل كلمة بذيئة معروفة واعترف بأنه قتل ذلك الرجل المسكين. وكان أمر معذب للسيد روبرتس. كان يظن نفسه منقذاً، ولكنه علم كم يعرف القليل عن الناس، وكيف أن أحكامه تصبح ضبابية عندما يظن أنه كان بطلاً.. نهاية ذلك الفصل أبكتني يا جويس.. لقد بدا المسكين أحمقاً أمام أنظار كل أصدقائه. لقد شوهد على التلفزيون، في قاعات المحكمة وردهاتها، وأم الزبون تصرخ في وجهه.. وفي كتابه كتب أنه تلقى درساً في الإذلال.

- الإذلال؟

- أجل الإذلال-لقد أمل أن تجعله تلك الغلطة، الفشل، حكماً أكثر تمييزاً للشخصيات. ولكن، الأكثر من هذا، أنه أمل أن تجعله هذه التجربة شخصاً أفضل. ولا يمكن للينا أن تفهم مثل هذا الرجل. ولا يمكن له أن يهتم بها جدياً.

وطغى شعور من الغثيان على ضمير جويس. لقد تصفحت بضع صفحات.. وحكمت... حكماً ظالماً غير دقيق. فلا عجب أن تنكّر لها مايك

فقالت معترفة:

- أنا... لم أقرأ الكتاب بعناية..

- لقد كدت أنتهي من قرائته. وأتمنى أن تقرأه لينا أيضاً. ولكنها مهتمة فقط بأن تعرض على أصدقائها الصورة على الغلاف. ولم يقل لها أحد إن هناك اشياء كثيرة حول السيد روبرتس أكثر من وجهه الوسيم.

وبقيت جويس مشغولة بمساعدة ستيف إلى أن حلّت ساعة العشاء. وشعرت بأنها غير جائعة، فاستلقت في سريرها، وبقيت صاحية إلى أن قرأت الكتاب من أول الغلاف إلى آخره.

كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل عندما أغلقت الكتاب.. هل يكون ايدي في مطعم عشاء منتصف الليل؟ إنه عادة يكون هناك. وهي بحاجة إلى نصيحته، فهو أيضاً قد أساء الحكم على مايك، وربما فعل هذا انطلاقاً من الغيرة الشخصية.

وارتدت جويس بسرعة واستقلّت المصعد إلى «الكهف الذهبي» حيث ستقدّم الوجبة المتنقلة هذه الليلة. ووجدت ايدي يحمل طبقه متجهاً إلى طاولة منعزلة. وحضّرت لنفسها طبقاً من مختلف أنواع الأطعمة، وانضمت إليه، ودخلت رأساً في الموضوع:

- لقد قلت أشياء فظيعة لمايك، وكنت مخطئة. وأنا مدينة له بالاعتذار... ولكن ليس لديّ الجرأة أن أسير إليه هكذا وأقول له إنني آسفة. فقد أموت لو أنه... جبهني بصدٍ بارد. ماذا أفعل؟ لقد كنت غير عادلة معه أبداً!

ونظرت عينا الدكتور الزرقاوان في عينيها للحظات، ثم قال:

- انت حقاً تحبين هذا الرجل

الوقت أصبح متأخراً للإنكار. فهزّت جويس رأسها ببؤس معترفة، والدموع تنهمر من عينيها. وقال لها الدكتور:

- محل الهدايا مقفل في هذه الساعة، لذلك لن تستطيعي شراء بطاقة لتتأسفي له بواسطتها. ولكن بإمكانك أن تتحدثي مع الساقي وترسلي لمايك زجاجة شراب إلى جناحه. واكتبي على المنديل، ثم انتظري مخابرة منه.

www.elromancia.com

- ماذا لو كان برفقة شخص آخر؟ ولو أنه قرأ الرسالة و.. عاد إلى النوم؟ سأشعر بالإذلال..

- الرسائل المكتوبة على المناديل يُنظر إليها عادة باهتمام. انهي عشاءك واذهبي من هنا.. فأنا، أقبض أجراً مضاعفاً للنصيحة بعد الثانية عشر.

ولم تمضِ عشر دقائق، حتى عادت جويس إلى مقصورتها. وفجأة أصبح رنين الهاتف أهم شيء في الدنيا لديها. فلو أن مايك في جناحه لقرأ الرسالة الآن ولكن قد يكون في إحدى قاعات الجلوس. وقد يكون يرقص مع لينا. وقد يكون نائماً، وقد وجد زجاجة الشراب والرسالة أمر غير مرغوب فيه. ماذا لو أنه لم يتصل أبداً؟

ولكنه فعل... وأجفلها صوت الرنين الذي كانت تأمل بأن تسمعه. والتقطت السماعة، محاولة أن تبدو رابطة الجأش:

- آلو؟

وجاءها صوت مايك العميق الرنان:

- لديّ مشكلة.. سيدة جميلة فاجئتني لتوها برسالة مؤثرة وزجاجة شراب فاخرة.

- وهل هذه مشكلة؟

- إنها مشكلة إذا لم يشاركني بها أحد. إذا كنت لا تمانعين بالشراب من أكواب عادية، فأنا مستيقظ ومرتدٍ ثيابي.. هل يمكن أن تأتي... لتتحدثي معي؟

- في مثل هذه الساعة؟

- انتهاز الفرصة، كما يقولون. ممكن أن آتي لرؤيتك، ولكن المكان هنا أوسع.

بعد فترة قصيرة، كان ثوبها البيج، مزيّن بوشاحها الجديد، ومكياج جديد وشعرها ممشط، وأصبحت جاهزة. ما عدا زيارتها البريئة لايدي بروك، لم تمضِ من قبل أي وقت مع رجل في غرفته. وشعرت جويس بالتوتر، ولكنها تعرف أنها لو رفضت، فلن يتصل بها مايك ثانية.

وقابلها مايك عند الباب، وقد ارتدى روباً حريريا فوق بيجامته. وابتسم لها معجباً بثوبها الطويل، وقال:

- لو كنت أعلم أن هذه ستكون مناسبة رسمية، لكنت ارتديت غير هذا.

وهنأها مايك على ثوبها الجديد الجميل، وهو يرافقها إلى داخل جناحه.

- ولكنني ارتديت هذا الثوب مرات ومرات من قبل

- أنا في الواقع لا ألاحظ الثياب

وأشار مايك إلى أحد المقاعد فجلست جويس عليه. هديتها له كانت على الطاولة وأمامها كوبين عاديين لشرب الماء. وجلس مايك إلى جانبها وهو يقول:

- أنا عادة أكون مشغولاً بالنظر إلى الوجوه فلا ألاحظ الثياب، وأنظر إلى العيون. وأهتم بالهدية أكثر من غلافها.

وفتح مايك الزجاجة وصبّ الشراب في الكوبين. وقال:

- أتعلمين كم كنت سعيداً بتلقي رسالتك؟ كنت أفكر بأنك ربما تكونين على حق، فيما قلتيه ذلك اليوم عند الشاطىء، ربما كنت أحاول إثبات شيء ما لنفسي.

- أنت لن تحاول إقناعي بأنك لا تشعر بالأمان.

www.elromancia.com

- لقد أمضيت وقتاً رائعاً معك يا جويس، ثم حصل بيننا سوء التفاهم... على كل، أنا سعيد لأنك غيرت رأيك بي. لم يبق أمامنا وقت طويل. ففي الأسبوع القادم سأعود إلى عالم الواقع. وأريد أن أتذكر هذه الأوقات. أريد أن أتذكر وقتي معك.

ومدّ ذراعيه لها، فانزلقت بينهما بسهولة، غير واثقة من أن ما يحدث هو حقيقة.

- إن ما نفعله صواب. ولا حاجة لنا أن نخاف من بعضنا..

وبدا أنهما لا يستطيعان أن يقتربا من بعضهما ما فيه الكفاية. وسبحت مشاعر جويس في بحر من الأحاسيس الدافئة، لم تكن تعرف من قبل أنها موجودة في داخلها. وقالت لنفسها: لن اشعر بالأسف فيما بعد، فأنا أحبه، وانا أكثر امرأة محظوظة في العالم.

ورن جرس الهاتف، مما أزعج مزاجهما، وتركها مايك وهو يقول:

- في مثل هذه الساعة؟ لا بد أنها بعد الثانية صباحاً.

ورن الهاتف من جديد قبل أن يصل إليه ويلتقط السماعة قائلاً:

- نعم؟.. أجل.. أعرف إنها فرقة موسيقية عظيمة. لقد سمعت عنها... ولكنني لا أشعر برغبة في الرقص الليلة... لا.. لست تعباً... أنا مشغول.. لديّ زائر.

وتساءلت جويس عن ردة الفعل عند الطرف الآخر... فمن يتصل، وهي تقريباً تعرف من، تعرف أنه ليس مجتمعاً بزملائه القانونيين في مثل هذه الساعة من الفجر. وسمعته يقول:

- لا، أخشى أن لا أستطيع.. لا مجال... لا أعلم ماذا يحدث

في الغد.. قد أذهب في جولة مع المحامين من كاليفورنيا. لقد أمضيت وقتاً قليلاً معهم والرحلة تكاد تنتهي. أجل.. أكيد... أجل إذا نجح الأمر هكذا... سأتصل... متّعي بنفسك.. ولا تنسي أن غداً يوم آخر مختلف.

ولم يذكر مايك اسم المتكلمة، ولكن لم يكن هناك شك في أنها لينا ويبستر.

- الفتاة المجنونة، تريد أن أذهب إلى نادي الرقص.. أنا لم أعد مراهقاً. لقد شعرت برغبة لأقول للينا إنني بالكاد تحمّلت العشاء هذه الليلة.

وابتسم مايك ثم عاد إلى مكانه قرب جويس

- كم أنه توقيت سيء للاتصال.

ومدّ يديه ليستعيدها إلى ذراعيه، ولكنها ابتعدت عنه

- هل هناك شيء ما يا جويس؟

- أشعر بأنني أزعج أمسيتك.

- لقد امضيت أمسيتي مع كتاب جيد. هادئة ولكن مملة، إلى أن أتى الساقي يدق بابي. جويس لا يمكن لك أن تعرفي مدى سعادتي أن أراك ثانية.

بالنسبة لجويس، بطريقة ما، هذه المكالمة أخذت كل ما كان يغمرها من مشاعر منذ بضع دقائق. بدا لها وكأن لينا معهما في الغرفة. كم مرة زارت هذه الغرفة يا ترى؟ لقد أمضى مايك معظم ساعات صحوه مع لينا خلال الأسبوع الفائت. وربما في هذه اللحظات تشعر بالغضب، وبصدمة الصدّ. ما كان على مايك أن يقول لها إن لديه «زائر».. هل هذا جزء من لعبته، تشجيع النساء، وجعلهن يغرن من بعضهن، واستغلالهن؟

www.elromancia.com

ربما كانت مخطئة حول غرور مايك وتصرفاته تجاه الناس.. وتجاه نفسه. ولكنه لا يستطيع الإنكار بأنه شجّع اهتمام صائدة رجال في التاسعة عشر من عمرها. ووقفت على قدميها، فقال مايك:

- لست ذاهبة؟

- الوقت متأخر.. وأنا لست مراهقة أيضاً.

وحاولت أن تكون طبيعية معه، حتى لا تغلق الباب من جديد بينهما. وغداً قد تشعر بشكل مختلف. ونهض مايك ورافقها حتى الباب:

- آسف يا جويس، ولكنني كنت أقصد حقاً أن نجلس هنا ونتحدث. ولكنك لا تسهّلين الأمور عليّ.. أنت جميلة جداً و... واقعية. ولو أنني كنت مندفعاً قليلاً، فأنت ملامة أيضاً.

واطرقت جويس برأسها، فهي لا تستطيع الإنكار بأنها تريده بنفس القدر. وقال لها، دون أن يظهر عليه أنها جرحت مشاعره:

- سنتحدث غداً. سمعت أن «تورتولا» مكان رائع.. وسنمضي يومين هناك. ما رأيك أن نستأجر قارباً ونبحر به إلى بعض الجزر الأصغر حجماً؟ كنت اقرأ عن جزر «الغوردا» والبرك الطبيعية التي يسمونها «الحمامات» سنتناول غداءنا في مكان قرأت عنه يُدعى (نادي يخوت «البيتراند») هل يبدو لك أن هذا سيكون يوماً جميلاً؟

واعترفت لنفسها بأنه يبدو هكذا، ولكنها مع ذلك سألت:

- هل أنت واثق أن لا خطط أخرى عندك؟ أنا واثقة أن لينا قد تكون معتمدة عليك..

وقطب مايك جبينه، ثم ابتسم

- هل ألاحظ دلائل الغيرة؟ لو أنني فكرت لحظة أنك قد تبدين مثل امرأة غيورة، فقد أصاب الهذيان.

كيف يستطيع أن يمزح بخصوص امتلاكه القوة لجعل النساء يغرن؟ وقالت:

- كنت أحاول أن أكون منصفة، على كل.. لقد أعطيتها فكرة بأنك...

- أعطيتها فكرة بأنني آسف عليها جداً.

- آسف عليها؟

- طبعاً.. والدها الحديث الثراء جلف لا يحتمل.. تصوري فتاة شابة سنالفة تُحشر في جناح مع والديها طوال الوقت؟ أية فتاة شابة في مثل عمرها ستكون بائسة.

- لم ألاحظ أنها تمضي وقتاً كبيراً «محشورة» مع والديها.

- حسناً، كنت أساعدها على شغل وقتها. إنها تلعب التنس ببراعة وتستطيع أن تكون مسلية. وأنا في إجازة.. وتعب من الحديث عن قاعات المحاكم. وعندما قررتي أنني لست الصنف الذي تحبين أن تعرفيه، أنا... لقد اتجهت إلى مكان آخر أستطيع أن أجد فيه رفيقاً.

- لا أظن أن لينا تفكر بالأمر بهذه البساطة.

- لا يمكن لها أن تفكر بالأمر بطريقة أخرى! لقد أوضحت لها هذا تماماً، وأنت لا زلت تجعلينني أبدو كالوغد يا جويس. لقد كنت منصفاً معها. وقلت لها الأشياء نفسها التي...

- التي قلتها لي... وها أنا هنا معك.

وصرف مايك هذه الفكرة بالضحك. ثم غمرها بين ذراعيه وقال:

- وهل تقارنين نفسك بهذه الطفلة المجنونة المعقدة؟ جويس لو أن شخصاً آخر غيرك وقف في وجهي في مشاجرة مرتين، كما فعلت، فسأكون غاضباً بالتأكيد. وهل تعلمين لماذا أنا لست غاضباً؟ أوه، لقد خاب أملي... أنا لا أستطيع التفكير بك مثل واحدة من هؤلاء... اللواتي يتكلم عنهن الناس. وأريد أن أعرفك بشكل أفضل. أن أعرفك لوقت طويل.

وللحظة فكّرت جويس بأن تقول له إنها قد غيّرت فكرها، ولكن حدساً ما قال لها بأن من الأفضل أن تغادر الآن. فهي مرتبكة جداً لتفكر بقرارات مهمة. في لحظة تعبد هذا الرجل، وفي اللحظة التالية، لا تثق به، وتشك في إخلاصه. وكل ما تعلمه، أكان شيئاً هذا أم لا، إنها تحبه. وأي تحليل لمشاعرها لن يجعلها تنسى الحرارة التي تشعر بها وهي تتذكر عناقه، بعدما افترقا.

١٢ - معاً... وليس دائماً

أول نظرة ألقتها جويس على «تورتلا» في الصباح التالي، كانت تجربة لن تنساها أبداً.. انطلاقاً من المياه التركوازية والرمال البيضاء المشعة، ترتفع الجزيرة إلى ألف قدم، وبركانها المرتفع مغطى بالغابات الكثيفة. وشاطئها تحدّده أشجار جوز الهند المتمايلة والشجيرات المزهرة. واليخوت القديمة الطراز تملأ الميناء، وتبدو كاللعب بالمقارنة مع «ملكة الكاريبي». تفكيرها بأنها سوف تستكشف هذا الفردوس مع مايك جعل الأمر مضاعف الإثارة. لقد قال شيئاً حول لقاء مع زملائه في الصباح، ولم يكونا قد تواعدا، ولكنها الآن تنتظره بأمل.

مزاجها الفرح لم يعمّر طويلاً.. فعندما توقف بها المصعد عند الطابق الذي يقيم فيه مايك وآل ويبستر، صعد إليه شخص واحد، لينا ويبستر. وتحية جويس لها قابلتها بهزة رأس باردة.

محاولة جويس الثانية لأن تكون ودودة معها كان لها ردّ أكثر برودة. فقد ذكرت لها حفلة القبطان المقررة في الليلة التالية. وقالت:

www.elromancia.com

- قال لي والدك إنك تملكين ثوباً رائعاً جداً لهذه المناسبة

- وربما ذكر لك أيضاً ثمنه..

وكان في صوتها سخرية مزدرية وهي تقول إن الثوب الجديد «هو محتشم كأي شيء تجدينه خارج باريس.. وإذا كنت سترتدين ذلك الثوب البيج ثانية، فماذا ستضعين ما يناسب معه من اكسسوار؟ والدتي لديها ما يناسب فساتينها، ولكنها ستضع شيئاً جديداً»

وشكرتها جويس على نصيحتها حول الأزياء، وعندما وصلنا إلى السطح انتظرت جويس أن تخرج لينا، وسألتها «هل ستأتين إلى الإفطار؟»

- لا فأنا سألتقي بشخص ما على السطح.

وتمنّت لها جويس يوماً ممتعاً في «تورتولا» وخرجت من المصعد. ومن على السطح الأزرق التقطت عيناها منظراً أكثر إبهاراً للجزيرة، وتوقفت لتطيل النظر إلى المنظر الساحر أمامها.. وانضم إليها ايدي بروك. وشعر بالسرور لردة فعل جويس لمنظر الجزيرة.

- عليك بالاقتراب منها جيداً لتتمتعي بها أكثر. إنها كباقة زهور كبيرة ومتنوعة.. لم أتغلب أبداً على الإثارة التي حدثت لي لدى رؤية أشجار «لسان النار» وهي مزهرة بلون البرتقال يتماوج فوق أوراقها الخضراء القاتمة... أعتقد أن لديك خططاً لهذا اليوم؟

- خطط غير نهائية.

- وهل نجحت الخطة؟ وتصالحت مع مايك؟

وشكرته جويس على اقتراحه، وأخبرته عن زيارتها لجناح مايك، مؤكدة له أن زيارتها كانت قصيرة «لم نرغب في أن نبقى

ساهرين، ونفوت رؤية الجزيرة»

- أتمنى أن يكون قد استيقظ من نومه باكراً. مع أنني أعتقد أنك يجب أن تعرفي أنك لم تكوني آخر زائرة لجناحه ليلة أمس

- ولكنني واثقة، لقد كانت الساعة قد جاوزت الثانية.

- وكانت الساعة الثالثة والنصف عندما استدعيت إلى جناحهم. وكانت ايلين مصابة بصداع حقيقي، ووصل زوجها من سهرته عندما كنت هناك وعندما تركتها، التقيت بابنتها في الخارج.

- وهل كانت عائدة من الملهى؟

- لم تكن عائدة للجناح.. كانت ترتدي ثوباً شفافاً وخليعاً، وكانت تقرع على باب صديقك المحامي.

- لقد سمعت مايك يتحدث معها في الهاتف، ولكنه لم يقل لي...

- بالطبع لم يقل لك إنه يتوقع قدومها، ولا يمكن أن تقرع بابه دون أن ينتظرها. لقد أسرعت بالاختفاء من هناك بسرعة، ولست متأكداً إذا كانت قد لاحظتني.

وشعرت جويس بالضيق. لماذا أخبرها ايدي بهذه القصة. ليذهب بشعلة السعادة لتصالحها مع مايك؟ وتوجه استياءها نحو ايدي، ثم أدركت أن مايك هو من يستحق الغضب. هل هو الشخص الذي ستقابله لينا عند السطح هذا الصباح؟ وإذا كان كذلك، فهو سوف يتخلى عن اجتماعه مع المحامين الآخرين على مائدة الإفطار. وربما سيزوران «تورتولا» معاً، إذاً، مايك لم يكن صادقاً معها. ولن تترك له فرصة أن يؤلمها ثانية، أو أن يجعلها تغار.... وقال لها ايدي:

- أتمنى أن لا تكون هذه المعلومات قد أزعجتك. لقد حاولت أن

www.elromancia.com

لا أكون أنانياً الليلة الماضية يا جويس. تمنيت أن تعود الأمور إلى مجاريها معك.

- لا بأس... بصراحة، كنت... منزعجة قليلاً لأنني لا أحب أن يكون بيني وبين الركاب أي سوء تفاهم.. لقد عقدنا نوعاً من الصلح.

- ولا زلتما أصدقاء.. جيد.

وقالت جويس، وهي تستمر بالتظاهر بأن ما يفعله أو لا يفعله مايك لا يهمها:

- إذا كنت ذاهباً إلى الشاطىء يا دكتور، وليس لديك أية خطط أخرى، هل تمانع في إزعاجي لك اليوم؟

- رائع.. سوف تتمكنين من قطف أول ثمرة لك من المانغا وسنسبح عند شاطىء «بينا كلاداس»

وساد وجه ايدي تعبير ساحر ولطيف، وتمنت جويس مرة أخرى لو أنها تستطيع أن تنظر إليه كأكثر من صديق.

كان هناك أوقات، خلال تناول الوجبات، لم يكن ايلين ودان ويبستر يتبادلان خلالها الكلام. ولكن هذا الصباح كان الأمر مختلفاً. وبدا أنهما يتجاهلان الموجودين على الطاولة معهما، وحوارهما كان مسموعاً وصاخباً. ولم يكترثا بأن الموجودين يسمعون ما يقولانه، حتى إنهما لم يتحركا عندما قدم أحد ضباط السفينة ليطلب من الدكتور الذهاب فوراً إلى مكتبه.

وبذهاب ايدي لم تعد جويس منشغلة، ولم تستطع سوى أن تسمع ما كان آل ويبستر يقولان، وقالت ايلين:

- أنت لم تقل لها كلمة واحدة يا دان! لقد تصرفت وكأنها تستحق أن تهنئها لتصرفاتها الجيدة!

- وماذا تريديني أن أفعل؟ أن أمنعها من الخروج خلال باقي الرحلة؟ أنا.. أنا أشعر بالأسف على هذه الطفلة.. لم يكن من حقه أن يجرحها بهذه الطريقة.

- أظن أن له مطلق الحق. كان من الممكن أن توصله إلى موقف حرج. وماذا بشأننا يا دان؟ ألم تتمنى الموت عندما دخل السيد روبرتس إلى جناحنا بعد منتصف الليل وهو يجّر لينا من ذراعها، ويلقي علينا محاضرة.. حول.. حول الانتباه أكثر «لابنتنا المدللة المزعجة»؟

- وكيف تظنين أن لينا شعرت؟

- لقد سببت هذا لنفسها.. تصورها وهي تقرع باب رجل في مثل تلك الساعة، تعرض عليه نفسها. لقد كان نائماً كما قال. ولم يكن مهتماً بها سوى للعب التنس.. يجب عليك أن تتحدث طويلاً مع لينا. وبعد تناول الإفطار مباشرة!

وارتشفت جويس بقية قهوتها بسرعة، واعتذرت لتنسحب. لقد استطاعت الآن أن تفهم تصرفات لينا الباردة نحوها. وسرّت أنها لم تفتعل مشكلاً آخر مع مايك.. لماذا تكون دائماً مستعدة لتصديق كل ما هو سيء عنه؟ هل لأنها تعتقد أنه أفضل منها؟

واتجهت نحو مقصورتها لتغتسل، كانت تشعر بالبؤس لأنها صدّقت وشاية ايدي، مع أنه لم يكن قد قال لها هذا بدافع انتقامي، ولكنه أساء فهم الموقف. ولا تستطيع لومه، بل ستلوم نفسها لعدم ثقتها بمايك. ألم يقل لها إنه لا يهتم بلينا سوى كصديقة؟ والأسوأ من هذا أنها ستقضي هذا اليوم مع رجل تحترمه بدلاً من الرجل الذي تحبه. فهي الآن لا تستطيع سوى التأسف،

www.elromancia.com

لو طلب منها مايك أن تزور معه آخر ميناء تزوره السفينة قبل ميناء سان جوان ثانية.

وعندما دخلت إلى مقصورتها وجدت رسالة على طاولة الزينة. وقبل أن تفتح المغلف، رن جرس الهاتف، وكانت المتصلة ممرضة ايدي، تقول لها إن الطبيب سيكون مشغولاً طوال الصباح وإنه آسف، ولكن حصل حادث للمساعدين في المطبخ، ويتمنى أن تستطيع جويس الانضمام إلى إحدى المجموعات الذاهبة إلى الشاطىء.

وبعد لحظات من إعادة السماعة إلى مكانها، كانت جويس تستلم رسالة مايك...

«عزيزتي جويس.

أنا مرتبط باجتماع على مائدة الإفطار حتى العاشرة. أتمنى أن تتمكني من انتظاري، وأن تلاقيني في المكتبة. أنا أنتظر بشوق اليوم الرائع، وأتمنى أن تكوني كذلك... ...» م.

وكانت جويس واثقة أن صيحة الفرح التي صدرت عنها سُمعت في المقصورات الأخرى على طول الممر. وقرأت الرسالة مرتين، ثم حضّرت ثوب سباحتها الملون، ومنشفة شاطىء كبيرة. وشالاً خفيفاً للسهرة. ووضعت كل شيء في الحقيبة القش التي اشتراها لها مايك خلال يومهما الرائع في «كوراكاو» وارتدت بذلة زرقاء، ووصلت إلى مكتب ستيف بعد دقائق، لتعلم بارتياح أن يومها سيكون حراً كي تتعرف إلى «تورتولا».

عدة مرات خلال النهار، فكّرت جويس، لو أن من عادتها كتابة مذكراتها، لأشارت إلى هذا اليوم بأنه «كامل». فبعد جولة، بدأ بيد، في عاصمة «تورتولا» الرائعة «رود تاون» ركبت مع مايك قارباً من مرفأ «ڤيلاج كاي مارينا» وزارا الجزيرة الصغيرة «كوبر»

ثم أبحرا عبر قناة «السير فرانسيس دارك» إلى جزيرة «غوردا» الجميلة، حيث تحدّ الصخور الضخمة المياه الصافية كالكريستال لتحوّلها إلى برك طبيعية.

وسبحا في إحدى البرك - الزرقاء، الخضراء - يضحكان ويرشان بعضهما بالمياه كالأطفال، وهما سعيدان بصحبة بعضهما. وعندما مدّ مايك يده يخرج جويس من المياه، جذبها رأساً إلى ما بين ذراعيه. وفكّرت جويس كم كانت قريبة من خسارة هذا الرجل المثير، وتعلّقت به وكأنها تغرق، وأثارها أكثر عندما همس لها:

- جويس.. أوه يا جويس.. لماذا طال بي الزمن هكذا كي أجدك يا حبيبتي؟

تشوقت لسماعه يقول لها إنه يحبها. ولكنها كانت تعلم أن الوقت لم يحن بعد. ومع ذلك، فمع كل نظرة، كل كلمة، كل عناق، كل لمسة يد، ألم يقل لها ما تريد أن تسمعه؟ هل هذا هو الحب حقاً؟ حب متشارك؟ يجب أن يكون! وبدا لها أن هذه الأرض الساحرة، وهذه المياه الكريستالية الحلقات المتساقطة كالشلالات من الزهور الرائعة، إنما خلقت لأجلهما فقط.

فيما بعد وهما يسيران عبر هذا الفردوس المثالي، وأصابعهما متشابكة، ساد بينهما فترات صمت طويلة، كان الاتصال الوحيد بينهما يأتي عبر ضغط يد مايك على يدها. واستحوذت عليهما رهبة ما يحيط بهما من خمائل الزهور، فصمتا، ولكن دائماً كان هناك اتصال يقول لجويس بأن هنا مكان لوجودهما دوماً.. معاً.

وانفجرا بالضحك معاً عندما حاولت جويس التقاط موزة عن شجرتها، واتسخت ثيابها باللون البرتقالي البني. فقال مايك:

- مما قرأته في مكان ما إن لطخات الموز صباغ متعذر إزالته. ولن

أستطع محوه، آسف يا جويس. . فانت تبدين جميلة جداً في هذا الثوب.

ـ عليّ الآن أن أعود إلى السفينة لأغير ملابسي

ـ لا. . لن تفعلي هذا. وإذا لم يغطي الشال الذي معك هذه البقع، سأجد لك شيئاً ترتدينه من أحد المحلات. وستكونين أجمل سيدة خرجت معها إلى العشاء، مهما كنت ترتدين.

وعلى الرغم من حرصهما على تجنب الأماكن المكتظة بالسواح، فقد كان من المستحيل أن لا يلتقيا بركاب آخرين من «ملكة الكاريبي» وكانت مجموعة ضخمة منهم تحتل المطعم الذي اختاره مايك لتناول العشاء. وكان هو أول من لاحظ أن عائلة ويبستر مع المجموعة. وكان دان يلتقط الصور للموجودين، وايلين تشرب عصير الفاكهة الذي يشتهر به ذلك المطعم. ولينا، متجهمة وغاضبة، تجلس إلى جانب أمها، مشغولة بعشائها دون أن تتكلم مع أحد. ولم تنظر باتجاه مايك، حتى بدت أنها تتجنب النظر إليه.

وشعرت جويس بالأسف الحقيقي على الفتاة. والأكثر، أن احترامها لمايك تزايد عندما فكّرت بأنه لم يقل لها كلمة، وربما لغيرها أيضاً، عن الحادثة مع زائرته غير المدعوة في ساعات الصباح الأولى. وإذا كانت الإشاعات قد بدأت تجوب السفينة حول تصرفات لينا، فلم يكن مايك هو مصدرها.

وعندما عادا إلى «ملكة الكاريبي» كانت مرهقة من السعادة. فقد تشاركا في يوم طويل مثالي، ولم يكونا في مزاج لأن يسهرا في احتفال أو رقص. ولكنهما كانا كارهين لأن يفترقا، ووقف مايك لفترة طويلة قرب الحاجز وذراعه حول خصر جويس.

كانت ليلة دافئة، والهواء معطر برائحة أزهار «تورتولا» يحملها النسيم الذي يهب من فوق تلك الجزيرة الجميلة باتجاه البحر. ولم تكن النجوم قد شعت بأكثر من هذا البريق من قبل، وانعكاسها قلب الكاريبي إلى سجادة مخملية مرصعة بالماس. ومرة أخرى ران عليهما الصمت لسحر هذا الجمال. هل كان مايك يفكر بما تفكر به جويس، بأنهما مساء الغد سيكونان في سان جوان، وأن السفينة من هناك سوف تعود مباشرة إلى ميامي؟ وستنتهي هذه الرحلة، وسيعود مايك إلى بلده. . . وهل ستراه جويس ثانية؟ أم أن هذه مغامرة أخرى ستنتهي، كما تنتهي كل المغامرات الرومانسية الصيفية، عندما تنتهي العطلة؟

ولكن ليس هناك مجال للمقارنة بين ما يُدعى «الحب الأول» وبين ما تشعر به جويس الآن لمايك. . ومع ذلك فقد تملكها شعور بقرب وقوع الخسارة. . فعلى الرغم من اهتمام مايك بها، وعلى الرغم من المشاعر التي تتدفق منه عندما يمسك بها بين ذراعيه، كتدفق البركان الذائب، فقد كان عليها أن تتذكر أنه لم يقم بنفي ذلك التحذير الأولي بأنه ليس مهتماً بعلاقة جدية مع أية امرأة. ولم يتفوه أبداً بتلك الكلمات التي كانت تتحرق شوقاً لسماعها.

ربما يكون التعب الجسدي هو الذي سبّب لها هذا الشعور بالانقباض وشعرت بأنها قريبة من الدموع عندما أوصلها مايك إلى باب مقصورتها وودعها.

التعب؟. . أم علمها أنها تحب مايك بكل ذرة من كيانها، وأن هذه اللحظات التي تشاركا بها، قد تصبح عما قريب مجرد ذكرى. . . ! وتساءلت جويس عما إذا كانت الأفكار التي تراودها هي نفس الأفكار التي يفكر بها مايك. وعانقها طويلاً. . طويلاً ليس كما يتعانق الأحباء عند محطة قطار أو المطار. بل هي لمسة رقيقة تبادلاها وقد أدركا أنهما لن يعرفا بعد الآن يوماً أو ليلة كهذه، وأن هذه لحظة الفراق. . .

www.elromancia.com

١٣ ـ كابوس

كان من الأفضل لجويس أنها لم تشاهد مايك في غرفة الطعام عند الإفطار في الصباح التالي، فلو أنه رآها ودعاها لزيارة ما فاتها زيارته من معالم سانت جوان في الزيارة الأولى، لكان عليها أن تتوسل لستيف الذي وجدته في حالة اهتياج عندما دخلت إلى مكتبه.

كانت كلمات ستيف موجهة لجويس، ولكن بدا وهو يذرع مكتبه الصغير، وكأنما يكلّم نفسه، إذ يبدو أن السفاة المكلفين بتزيين القاعة العامة لحفلة القبطان «قد خذلوه». فواحد منهم داس على قنفذ بحري على أحد الشواطىء وهو الآن يُحقن بمضادات الالتهاب على يد الدكتور بروك. والآخر أصاب نفسه في حادث غير خطير واعتبر ستيف هذا وكأنه تحدّ شخصي له. وأشار إلى جويس قائلاً:

ـ هذا يتركك يا فتاتي الصغيرة لوحدك معي لنقوم بالزينة. فتحدثي مع الكهربائي حول الإضاءة الخاصة التي أطلبها. راقبي تطبيق أفكاري.

كان ستيف يحلم باحتفال مميز يتبادل فيه المسافرون، كالعادة، العناوين، وهذه عادة تجري عند كل آخر ليلة في أية رحلة. ولكن معظم المحامين سيطيرون من بورتوريكو إلى بلادهم عوضاً عن الإبحار إلى ميامي.

ـ وهذا ما يضعنا تحت ضغط شديد

وهذا يعني أن جويس لن تضع قدمها اليوم على اليابسة، ولن ترافق مايك لقضاء آخر يوم لهما معاً. وخاب أملها.. ولكن، إنها ليست على السفينة لتتمتع بإجازة، إنها موظفة هنا، وأمامها الكثير لتعلمه..

وبقيت جويس مشغولة حتى الظهر، وهي تتساءل من وقت إلى آخر عن مكان وجود مايك، وماإذا كان يحاول الاتصال بها، وماذا يفعل، ومن اختار لمرافقته. المهام التي جعلها ستيف تبدو صعبة التنفيذ، تمت كلها عند وقت الغذاء. وذهبت جويس عدة مرات إلى مقصورتها لترى ما إذا كان هناك رسالة لها. وفي كل مرة كانت تعود إلى مكتبها خائبة.

في وقت مبكر من بعد الظهر كانت حفلة ستيف «أصدقاء إلى الأبد» قد أصبحت جاهزة تماماً وتحولت قاعة الطعام الزرقاء، بسحر ساحر إلى حديقة أزهار مثالية.. وعادت جويس إلى مقصورتها. وهي تنتظر أن تحظى بوقت طويل متكاسل تحضر نفسها خلاله للأمسية المثيرة المنتظرة.

ووجدت رسالة على طاولة الزينة! وفتحت الظرف الصغير بسرعة وانهارت معنوياتها. فالرسالة مكتوبة بخطٍ غير مألوف لديها، وتقول:

«جويس

www.elromancia.com

«لديّ شيء صغير لك.. هل بإمكانك القدوم إلى جناحنا للحظات؟ لم أتمكن من الاتصال بك هاتفياً...»

وكان على جويس أن تتحزر لتتعرف على التوقيع، لقد كان توقيع ايلين ويبستر..

وكانت فعلاً تعني، «شيء صغير» ذلك الذي كان بانتظار جويس في جناح ويبستر الفخم. ولكنه أيضاً كان هدية مذلة، وخاصة أن لينا هي التي اقترحتها. وقالت ايلين وهي تقدّم لجويس علبة ملفوفة:

- لقد أخبرت عائلتي كم كنت لطيفة معي. وكنت أنا ولينا في محل للهدايا هذا الصباح، وفكرت لينا أن هذه طريقة لإظهار شكري لك.

وفتحتها جويس لتجد فيها سترة براقة موشاة بالذهب من طراز «البوليرو» القصيرة. وقالت ايلين وهي تبتسم:

- أتمنى أن تكون أعجبتك.. لقد فكرت لينا بأنها ستكون رائعة هذه الليلة مع...

- مع ثوبي البيج القديم.

ولم تقصد جويس أن يبدو تعليقها يحمل كل هذه المعاني، وسارعت ايلين تقول «أوه.. إنه ثوب جميل» ولم تكن تدري أن ابنتها قد اختارت هذه الطريقة للسخرية من ملابس جويس.

ولم يسع جويس إلا أن تقدّم لهم الشكر على هذه السترة اللامعة، مع أنها لم تكن تنوي أن ترتديها الليلة. وكانت تعيد الهدية إلى الصندوق عندما دخلت لينا الغرفة وهي تشتكي من «الأغبياء في ذلك المكان المجنون الذي يدعونه صالون التجميل» الذين لم يفهموا ما تريده لشعرها

واضطرت جويس لشكر لينا أيضاً، للبوليرو المذهب. فابتسمت لينا وكانت ابتسامتها، كطعنة السكين الماضية.

- مسرورة لأنها اعجبتك.. نريد جميعنا أن نبدو رائعين الليلة.

وقالت ايلين:

- أظن أن جويس تبدو رائعة دائماً

وللتعبير عن إعجابها بذوق جويس، أشارت إلى حقيبة القش التي كانت تحملها وقالت:

- كنت أتمنى لو أنني اشتريت مثل هذه كهدايا.. أين اشتريتيها يا عزيزتي؟

- مايك روبرتس اشتراها لي يوم كنا في «كوراكاو» والبائع كان مثيراً للضحك.. لقد ظن أننا نقضي شهر العسل، وكان هذا محرجاً!

وتجمّد التعبير على وجه لينا.

- حقاً؟..

وغيّرت الموضوع فجأة من ذوق جويس إلى ذوقها:

- يجب أن تشاهدي ما اخترت لوالدتي من هدايا، أريها ماذا سترتدين هذه الليلة يا أمي.

واحتجت ايلين، ولكن ابنتها أصرّت، ففتحت الخزانة وأخرجت ثوباً رمادياً، بسيط التفصيل، ولكن القماش الثمين موشح بخيوط ذهبية..

وقالت عندما أعجبت جويس بالثوب:

- القماش من الصين.. لقد اعتقدت في البدء إنه بسيط، ولكن لينا اتهمتني بأنني أرتدي ثياب العارضات معظم الوقت.. ولكن

www.elromancia.com

أتظنين أنني سأكون مبالغة لو أنني ارتديت البروش المفضل لديّ معه؟

وفتحت أحد الجوارير وأخرجت علبة المجوهرات، وحملت البروش على شكل زهرة من الزمرد والذهب فوق كتفها، ثم في فتحة عنق فستانها.

- ما رأيك؟ أم أن عليّ أن لا أضع شيئاً أبداً؟

- إنه جميل جداً! أعتقد أن عليك أن تضعيه عند القبة.

وكانت على وشك أن تغادر الجناح عندما دخل دان من غرفة النوم إلى غرفة الجلوس، يتثاءب وعيناه منتفختان من النوم. وكان من الضروري أن تعيد الشكر للمرة الثالثة.

- لقد كنت حقاً لطيفة مع زوجتي يا عزيزتي. وقلت لها أن تشتري لك شيئاً جميلاً، وأن لا تهتم بالثمن.

وبد أنه لم يشعر بالإحراج الذي سببه لزوجته، وابنته، وجويس. وتحادثوا لدقائق حول الحفلة، وكيف أن الجميع يتمنون أن لا تنتهي هذه الرحلة. وذكّرتهم جويس أن ليس هناك سوى توقف بسيط قبل أن تعود السفينة إلى عرض البحر. وقالت لينا:

- أجل.. ولكن الركاب لن يعودوا كما هم.. وربما لن تشاهدي أي منهم ثانية..

وحدّقت لينا بعيني جويس.. لماذا ذكرت جويس ذلك اليوم مع مايك في «كوراكاو»؟ لا بد أن لينا تشعر بالغضب في داخلها، ذليلة بما يكفي دون أن تذكّرها جويس بأنها قد حلّت مكانها في اهتمامات مايك.

وعادت معنوياتها للارتفاع عندما عادت إلى مقصورتها وأغلقت الباب وراءها. كانت ترغب في أن تفعل شيئاً مختلفاً

لشعرها. وعلى الرغم من عدم سماعها أية كلمة من مايك، إلا أنها كانت تتشوق لقدوم الليلة الموعودة. ومع أن مايك يمكن أن لا يكون برفقتها إلا أنه سيكون هناك. وربما كان ما يزال على اليابسة وسيتصل بها عندما سيعود إلى السفينة... ربما...

وأخذت أفكار جويس تطوف بسعادة وهي تخرج ثوبها الثمين وتعلقه داخل الحمام. وأخذت وقتها الكافي في الحمام، ولكنها تعذبت في ترتيب شعرها، ثم في وضع المكياج، وأخيراً لبست الثوب الأصفر.

وأمام المرآة الكبيرة، رفعت جويس يديها إلى الأعلى، لترى تأثير الأكمام على شكل الفراشة.. لم تمتلك من قبل شيئاً أجمل منه، ولم تكن أبداً سعيدة في حياتها كما يظهر على صورتها في المرآة، لن تستطيع أبداً إيفاء ايدي حقه من الشكر. وكم هي ممتنة له لتفهمه. بأنها لن يكونا أبداً أكثر من أصدقاء، وكم أصدقاء مقربين سيكونان!

وقرع باب غرفتها.. وفتحت الباب وشهقت.. كان فعلاً خادم الغرف.. ولكن برفقة رجلين آخرين، أحدهما ضابط الأمن والآخر كان القبطان راي لوغان!

وكان هذا بداية لكابوس. وبدا القبطان متجهماً وغير مرتاح:

- أرجوك أن تفهمي آنسة سوير، أن وجودنا لا يدل بأية طريقة أنك تحت أي اشتباه. ولكن لدينا مسؤولية تجاه الركاب. ونريد تبرئة أعضاء طاقمنا قبل أن نتابع تحقيقاتنا.

- تحقيقات عن ماذا؟

كابوس! وشرح لها ضابط الأمن أن قطعة ثمينة من الحلي

www.elromancia.com

مفقودة من أجنحة الزبائن. . وبالطبع مؤمن عليها. بما يقارب ثمانية عشر ألف دولار. وأن شركة التأمين تتوقع أن يتم تفتيش كل السفينة وخاصة مقر الشخص الوحيد من خارج العائلة الذي كان مع آل ويبستر عندما فُقد البروش. وصعقت جويس:

- السيدة ويبستر لم تجد بروش الزمرد؟ كان على الطاولة عندما غادرت جناحهم.

وقال ضابط الأمن:

- عن اذنك سنفتش الغرفة.

وبدأ هو والخادم عملية التفتيش. . ووقفت جويس ترتعد وهما يقلّبان أغطية الصوفا ويفتّشان بين الأغراض القليلة الباقية في حقيبة ملابسها. وكانا يفتشان حقيبة ماكياجها عندما قال القبطان:

- هذا أمر سيء للغاية آنسة سوير، ولكن أرجو أن تفهمي.

- بالطبع أنه بروش جميل.

- لقد قلتِ بأنك شاهدتيه؟

- اوه أجل. . السيدة ويبستر ارتدته عند تناول العشاء عدة مرات. وكانت تسألني اليوم إذا كانت ستضعه على كتفها أو. . .

وتوقفت عن الكلام . غير مصدقة بأن الرجلين سوف يفتشان خزانتها ويضعان أيديهما في الجيوب، وعلى طول الملابس. . فقالت:

- ايلين تعرف أنني لا آخذ أي شيء ليس لي.

- السيدة ويبستر لم تتهمك. . أترين. الركاب عادة يبلغوننا عن أشياء مفقودة، ثم يتذكرون أنهم خبأوها في أماكن غريبة، وأنا

متأكد أن أمامنا وضع مماثل. وأنا اسف لهذا الإزعاج.

ونظر إلى جويس وابتسم لها ابتسامة أبوية.

- لو كنت أعلم كم أنت بارعة الجمال، لكنت أصريت على أن تجلسي إلى طاولتي.

وشكرته جويس. . واتسعت عيناها بالذهول عندما أخذ الخادم يفتش بحقيبة القش، وبدت عليه الصدمة، وأخرج يد ممسكاً بزهرة لامعة باللون الأخضر والذهب.

وساد صمت مطبق في الغرفة، ما عدا صوت حشرجة تنفس جويس.

- كيف وصلت هذه الى هنا؟ لم أضعها هناك؟ أقسم أن البروش كان على الطاولة عندما غادرت الجناح.

وكانوا محرجين أكثر من جويس، وأعطى البروش للقبطان دون كلمة.

- أنا لست سارقة! لو أنني سرقت شيئاً لخبأته في مكان آخر، عليك أن تعرف أنني. . لم أفعل. . . !

ثلاثة أزواج من العيون كانت تحرق وجهها. . كانت تحتج بقوة. . ساخطة، مصدومة، غاضبة. . ولم يصدقوها. . علمت من التعبيرات على وجوههم أنهم لم يصدقوها!

- أقسم أن أحداً وضعه في حقيبتي. . واستطيع أن أقول من ولماذا!

ورفع القبطان يده ليسكتها

- إذا أقام آل ويبستر الدعوة، فسنطلب منك بياناً كاملاً آنسة سوير.

www.elromancia.com

- ولكنني أريد أن أقوم به الآن!... أنتم.. أنتم تجعلوني أبدو سارقة دون أن تتركوا لي الفرصة بأن أواجه من اتهمني! لينا ويبستر تكرهني، إنها فتاة فاسدة غيورة، مزعجة...

- نحن لا نقوم بالاتهامات على أساس ما يبدو على مسافرينا.

وأشار القبطان للرجلين، وبدا عليهما الارتياح لترك الغرفة

- في الوقت الحاضر. ولأننا نرغب في إبقاء هذه الأمور سراً، آنسة سوير، سأطلب منك عدم الاختلاط بالمسافرين.. احتجاجاتك قد يكون لها ما يبررها، ولكن أتوقع منك أن لا تتكلمي عما حدث.

- وهل أنا محجوزة في غرفتي؟ هل أنا مسجونة؟ أيها القبطان، إذا كنت مذنبة، أطلب أن توقفني فوراً! إذا كنت لا تستطيع إتهامي رسمياً، فلا حق لك ان...

- إنه واجبي يا آنسة سوير، وهذه هي الإجراءات، وأتمنى أن تتعاوني. كونك بريئة أو مذنبة هذا شيء لا أستطيع تقريره، ولا أستطيع تركك تستمرين في نشاطك وكأن شيئاً لم يكن.

وقال لها إن عليها عدم مغادرة هذه الطبقة من السفينة، وإن وجبات الطعام ستصل إليها. وإنه آسف لأنها لا تستطيع حضور حفلة الوداع الليلة. وشعرت جويس بالأسف على القبطان أكثر من أسفها على نفسها. ولكنها لم تستطع إلا أن تستمع إليه يقول لها أن لا تتصل بآل ويبستر أبداً. فكيف خمّن بأن تحرك جويس التالي سيكون الاتصال بلينا ومطالبتها بقول الحقيقة؟

- أرجوك أن تفهمي أن ما أطلبه منك هو لحمايتك إضافة إلى حماية الركاب. ولا أريد أن تبحث هذه الحادثة المؤسفة، ولا نريد أية مواجهة. ولك وعد مني أن يتحقق ضباط الأمن من كل كلمة

قلتيها لي. وبكل سرية. ولكنني لا أستطيع تبرئتك إلا إذا قرر الركاب هذا. وأنا آسف آنسة سوير. ففي هذه الليلة التي ننتظرها جميعاً، من المحزن أن أطلب من موظفة جديدة أن.. تبقى معزولة. ولكنني حقاً ليس لدي بديل.

كابوس.. كابوس.. كابوس!

وذهب القبطان.. وأخذت تذرع غرفتها تريد أن تصرخ.. ماذا تعتقد لينا ويبستر أنها ستحقق بعملها هذا؟ كم من السفالة قد تبلغ أخلاق البعض؟ ولماذا؟ الآن مايك نبذها بقوة؟ الآن الغيرة أعمت بصيرتها؟ الغيرة من ماذا؟

أوه.. قد يستطيع القبطان أن يتحدث عن التحفظ وإبقاء الأمر سرا إلى أن ينتهي التحقيق. ولكن، هل يعتقد للحظة أن لينا لن تفعل ما بوسعها للاستفادة من هذه الفرصة المخطط لها بدقة؟ ليس هناك من شك، في ذهن جويس، أن لينا هي التي دست البروش في حقيبتها في لحظة غفلة. ولكن، أليست المسألة الآن مسألة كلمة جويس تجاه كلمة عائلة ويبستر بكاملها؟ أتصرخ! أرادت أن تصب جام غضبها على العدالة، وخيبتها في صرخة غاضبة ومدوية!

ولكن الغضب تحول إلى بؤس. ونظرت جويس إلى المرآة. الثوب الذي يشبه الفراشة، ليلة الاحتفال، نظرات مايك المعجبة، وربما... أجل... ربما هذه الوظيفة الحلم، كل هذا اختفى فجأة! ورمت جويس نفسها على السرير، وقبضاتها تضرب على الوسادة. وبعد وقت طويل طويل، هطلت الدموع، دموع كان يجب أن تريح ألمها، ولكنها كانت دموع فقط، إذ لم تجد الراحة واستمر الكابوس.. لا يمكن تصديقه.. ولكنه حقيقي.

www.elromancia.com

كم كانت الساعة عندما سمعت دقاً؟ هل غطّت بالنوم حقاً؟ هل بكت إلى أن لم يعد هناك شيء أمامها سوى النوم؟ وعادت ذكرى ما حدث تطغى على تفكيرها وهي تتقدم لتفتح الباب، تشاهد ايدي بروك، مرتدياً ثوباً رسمياً أبيض. ووقف خاج الباب للحظات، وعيناه الزرقاوان مليئتان بالألم. ثم تحرك الى الداخل، وحضن جويس في عناق قوي.

وعادت الى البكاء، ودعته الى الدخول:

- هل أنت واثق أنك ترغب في أن تنضم إليّ؟

وتبعها ايدي الى داخل المقصورة، وأغلق الباب وراءه

- جويس... جويس لا تتكلمي هكذا.

- أتعلم ما حدث؟

- أعلم، ولم أكن لأستطيع أن أصدّق لو لم أكن أعرف هذه العائلة المنحطة. حبيبتي، سيكون الأمر على ما يرام. أعلم هذا

- من المفترض أن يبقى الأمر سراً.

الثوب الأصفر أصبح الآن متجعداً. ماكياجها مشوه من البكاء. كم هو منظر سيء تظهر به أمام ايدي!

- من المفترض أن أبقى هنا حتى لا تنتشر هذه القصة المزعجة في السفينة. ولكنني واثقة أن الجميع يعلم ما حدث الآن. من أخبرك يا ايدي؟

- الإشاعات على السفينة.

وجلس على حافة السرير

- لقد أصابني هذا بالغيظ! وقلت للقبطان ما أفكر به بالضبط: لو لم أكن أعلم أنها مشغولة جداً لأزحت ذلك الشعور من داخلي واتهمتها بدوري..

- أنت لا تصدق...

- بالطبع لا أصدّق ماسمعت.. ولا أعرف كيف انتشرت القصة. لديّ شكوك.. ولكنني في الواقع لا أعرف.

- أستطيع أن أخمن.. كيف كانت حفلة العشاء؟ ألم تكن الزينة جميلة؟

ولم يكن ايدي مهتماً بالزينة، فقال:

- لقد عانيت الكثير خلالها. وعندما علمت أنك لن تكوني هناك، ولماذا، فعلت ما باستطاعتي لأحافظ على وعدي لستيف.. فأنت تعلمين أنني دائماً الرجل المستعد لتقديم المساعدة.

- ربما من الأفضل أن تعود الى الحفلة.

وكان بإمكان جويس أن تقسم بأنها لاحظت الدموع في عينيه:

- كان عليّ أن أجيء إليك وأتحدث معك. أريدك أن تعرفي أن هناك شخص واحد، صديق واحد، لا يمكن له أن يصدّق...

- أعلم هذا..

وشكرته جويس لثقته بها، ثم آلمها واقع أن ايدي هو الشخص الوحيد الذي أتى إليها ليعبّر عن ثقته بها، وتساءلت كم عدد الآخرين الذين سمعوا بأنها سرقت البروش الثمين من ايلين ويبستر، فسألته:

- هل تحدثت مع ستيف؟

- كان مشغولاً جداً

إذاً لقد عرف ستيف بما حدث، ولكنه مهتم بوظيفته، ولم يرد أن ينتصر لشخص قد يُصرف من العمل ويُتهم بالسرقة، لقد

www.elromancia.com

اختار أن يشغل نفسه بحيث لا يستطيع أن يقدم الدعم لها. وقال ايدي:

- إنه متزلف ضعيف وضيع. ولا تتوقعي الدعم منه.

- والباقي؟

- السيدات من كاليفورنيا قلن إنهن لا يستطعن التصديق.

- لا يستطعن أم لا يردن التصديق؟

- جويس.. ليس كل الناس أذكياء كما أنا. فهم لا يعرفونك كما أعرفك.

- وماذا عن...

- روبرتس؟ مايك روبرتس؟

وبدا الاشمئزاز على وجهه، ومضى عليه بعض الوقت قبل أن يستطيع القول:

- لقد رأيته في الاحتفال.. معها.

- مع لينا؟

- أجل.. يبدو أنني من آتيك دوماً بالأخبار المؤلمة يا جويس. ولكن من الأفضل أن تعرفي. كانا معاً، ولا يتحدثان مع أي شخص آخر، مستغرقان في الحديث حتى أنهما لم يلاحظاني عندما مررت قربهما.

- إذاً لو أن الجميع يعرف بأنني محجوزة في مقصورتي، فلا بد أن مايك يعرف ولم يتصل ليبدي دعمه. ولم يفعل ما فعلته أنت

وخرجت الدموع من عينيها، وتركتها تهبط إلى وجناتها.

- أنت الصديق الوحيد لي في هذه السفينة يا ايدي. ماذا سيحدث؟ لو أنهم صدّقوا لينا، ولديهم الدليل، أليس كذلك؟

بإمكانهم ملاحقتي قضائياً! ومن الممكن أن أذهب إلى السجن كسارقة عادية...

ومد ايدي يده يضغط على يدها

- جويس، لا تفعلي هذا أرجوك. ومهما حدث اعلمي أنني أصدقك.. أصدقك و... أحبك.

وذكرته أن وجوده ضروري في حفلة القبطان، وأكدت له بأنها ستكون بخير، وأنها في الواقع تعبة، وترغب بأن تكون لوحدها.. لتنام.

وكالعادة، كان ايدي على الأرجح يعرف ما تعنيه. ولكنه تركها مع كرامتها، واعداً إياها أن يتصل بها في الصباح.

وانتظرت حتى ابتعد، وانفجرت بنحيب مرير، حتى أنهكت نفسها وكان صوتها خشناً ومتجرحاً من البكاء عندما ردّت على رنين الهاتف بعد ساعة، وكان مايك: «جويس...» وبدأت البكاء من جديد، وردّت عليه:

- لا أستطيع التحدث إليك الآن.

- جويس.. هناك شيء يجب أن أتحدث معك حوله، الآن.

- هل هو شيء تحادثت به مع لينا ويبستر؟

وأحست بالإذلال والإحراج.. هل يريد أن يعطيها محاضرة حول الأمانة، أم أنه سيعرض عليها خدماته كمحامي؟ ولم ترغب في أن يراها بهذه الحالة، ولم ترغب في أن تزيد إذلالها بأن يساعدها الرجل الذي تحبه. وصرخت جويس:

- لا أريد التحدث إليك.. لا أريد رؤيتك!

- ولكنني متعود على التحقيقات و...

www.elromancia.com

وأقفلت السماعة في وجهه، وعادت إلى النحيب ثانية، وعندما رن جرس الهاتف ثانية، سحبت الفيش من الحائط...

فيما بعد، ظنت أنها سمعت دقاً على الباب، ولكن ربما كانت تحلم. جزء من الكابوس الذي سيطر على عقلها. وعندما جفّت الدموع من عينيها، ولكن لم يتوقف شهيقها. غرقت بالنوم.

١٤ - انتهى وقت الدموع!

واستفاقت جويس على صوت قرع على الباب.. هل مايزال شخص ما يقرع الباب؟ لا يمكن.. فنور الصباح يتسلل من النافذة الضيقة. ونظرت إلى الساعة، وعلمت أنها تقارب التاسعة. والسفينة تتحرك، ولا بد أنها تقترب من ميامي.

وأصبح الصوت الذي أيقظها ملحاحاً أكثر. وعاد إليها شعورها بالكابوس، وصاحت بصوت أجش:

- من هناك..

- جويس؟

وعرفت صوت مايك، وغمرها الشعور بالبؤس.

- جويس.. أرجوك اسمحي لي بالدخول

- لا.. لا أريد أن أراك.. لا أستطيع.

- يجب عليك أن تريني.. أريدك أن تحضري إلى مكتب القبطان على الفور. وأريد أن أتحدث معك.

هل هي مطلوبة للتحقيق؟ هل سيعتقلونها؟

www.elromancia.com

- لست بحاجة لمحامي. الليلة الماضية كنت أحتاج لصديق.. وأنا لا أحتاج خدماتك. حتى أنني لا أستطيع تحمّل أن أكلّفك بالقضية.

وعاد إلى الدق على الباب

- أرجوك أن تتوقفي عن التحدث بغباء واتركيني أدخل.. نحن مطلوبان إلى فوق.. الآن

- إذا كان القبطان يريد رؤيتي... فسيطلبني. فهو يعرف أين أنا فأنا تحت الإقامة الجبرية.

- ولكنك على الأرجح سحبت شريط الهاتف. ولقد حاولت الاتصال بك ليلاً. والقبطان ربما حاول أن يتصل أيضاً، جويس، أرجوك دعيني أدخل.

كانت قد نسيت أنها سحبت شريط الهاتف. ومالت إلى الباب، وساقاها ترتجفان، إنها قريبة جداً من مايك، وتريد أن تكون إلى قربه أكثر. أن تكون بين ذراعيّ هذا الرجل الذي تحبه. ولكنه هنا ليمثّلها في قضية إجرامية.. وهذا اختصاصه. لو أنه يؤمن بها، يصدّقها، يحبها لما قضى أمسيته مع لينا وبستر

- جويس.. يجب عليك أن تدعيني أدخل! أريد إخبارك بما حدث.

تصرفات مايك الملحاحة، صوته القوي، أصبح فجأة غاضباً. ومهما كان يريد، بدا مصمماً أن يحصل عليه.

- انظري.. كل شيء سيكون على ما يرام. سأصعد إلى فوق معك، وسيكون كل شيء على ما يرام.

ولم تتحرك حويس عن الباب. وتركت الدموع المريرة تنساب على وجهها.. لن يكون الأمر على ما يرام. ومهما حدث،

حتى لو تمكّنت من تبرئة نفسها فلن تنسى الألم الذي سبّبه هجران مايك لها. لقد كان مع لينا، وهو يعرف جيداً أنها كانت تنتحب لوحدها. وكل ما سيستخدمه من تكتيكات قانونية لن يمحو واقع أنه قد صدّق بأنها مذنبة. هذا الرجل، لن يقنعها أبداً أن كل شيء سيكون على يرام.

وسمعته يصدر صوتاً غاضباً، وقال:

- أريد أن أتحدث معك قبل أن نصعد إلى فوق. ولكن إذا لم تكوني ترغبين في هذا.. لاقيني خارج مكتب القبطان بعد عشر دقائق.

- أنا لست واثقة.. أن.. بإمكاني مغادرة...

وهدر مايك صائحاً:

- هذا أمر! عشر دقائق يا جويس.. وكوني هناك!

ولم يكن يوضح ما إذا كان هذا الأمر صادر من القبطان أو منه، وذهب. وقطعت الغرفة، ونظرت إلى نفسها في المرآة، وغضبت من نفسها لإنها نامت وهي ترتدي فستانها الأصفر الجميل، وبدا متجعداً وعليه أثر الفراش. وكان هناك دائرة من الكحل حول إحدى عينيها ووجهها منتفخ من البكاء، ولا تزال تبكي، وشعرت وكأنما الدموع لن تتوقف أبداً.

واستحمت، ووضعت المكياج على وجهها من جديد، وغيّرت ملابسها، وحسّن هذا قليلاً من مظهرها المكتئب، ولكنه لم يرفع من روحها المعنوية. فقد كانت متوترة وخائفة، وهي تخشى محنة أن تضطر إلى سرد القصة ثانية.

ومضت عشر دقائق كاملة قبل أن تتمكن من الصعود إلى الطابق الذي يوجد فيه القبطان. وكان مايك ينتظرها، ينظر إلى

www.elromancia.com

ساعته بقلة صبر وهي تتقدم نحوه. وعندما رآها مد يديه لها قائلاً:

- صباح الخير يا جويس. ليس لدينا وقت للحديث، كما أخشى، فقد تأخرنا.

- لست أدري ماذا هناك لتتكلم عنه.

وكان صوتها يتهدج، ولكنها أبقت رأسها مرفوعاً، وتجاهلت ذراعيّ مايك الممدودتان ومع ذلك، أمسك بيديها، يضغط عليهما بقوة، وتابعت كلامها:

- لقد قلت لك لا أستطيع تحمّل مصاريف محامي مشهور. لقد قلت الحقيقة، وهذا يكفيني.

- جويس أنا لست هنا كمحام لكِ. أنا هنا كصديق، وكشاهد..

- شاهد؟ لم تكن موجوداً عندما...

- أعلم هذا. وسأقدم شهادة قد لا تقبل بها أية محكمة، ولكن أريدك أن تعرفي أنني في صفك. وأصدّق تماماً أنك بريئة، حتى قبل أن أحصل على اعتراف لينا.

- اعتراف؟

- لقد تأخرنا، ومن الأفضل أن ندخل.

وفتح مايك الباب لينكشف عن طاولة اجتماعات طويلة. وصُدمت عندما لم تجد القبطان وضابط الأمن والخادم فقط بل آل ويبستر الثلاثة أيضاً. من الواضح أنهم سيقدّمون شكوى ضدها. وشعرت بانحباس أنفاسها. ربما ستحتاج إلى محامي. وتركت مايك يقودها إلى أحد الكراسي، وهي صامتة تصلي حتى لا تبدأ بالبكاء من جديد.

ووقف لها القبطان وأعضاء الطاقم ثم عادوا إلى الجلوس بعد أن جلست. وجلس مايك على الكرسي المجاور. ولم ينظر دان ولينا ويبستر نحوها، بينما أطرقت ايلين برأسها. ثم قال القبطان:

- سيد ويبستر.. سيدة ويبستر لقد قلت لكم إن السيد روبرتس قد أخبرني عن اعتراف ابنتكم له الليلة الماضية.

وضرب دان ويبستر قبضته على الطاولة

- لقد أسكرها! إنه محامٍ ذكي! ومن المحتمل أن تكون لينا لم تعرف حتى ماذا تقول.

ونظر إلى مايك:

- لو أنها قالت شيئاً.. فلا يمكن أن تفعل ابنتي هذا ولماذا تفعل؟

وردّ عليه مايك بنبرة هادئة ولكن صارمة:

- بسبب واقعة أفضّل أن لا أذكّرك بها سيد ويبستر.

حتى تحت هذه الظروف لم يكشف عن أنه رمى لينا خارج غرفته، وتابع:

- ولأن لينا تعرف جيداً.. أن لديّ اهتمام شخصي بجويس سوير. وفي الليلة الماضية عندما سمعت القصة، اعترف بأنني استغليت الفرصة لأكسب ثقتها، واعترف أنني استخدمت كل التكتيكات التي أعرفها في التحقيقات، وكل مهارتي في الاستجواب. وأعترف أيضاً أن لينا كانت تشرب كثيراً. وعندما قالت لي إنها وضعت ذلك البروش في حقيبة الآنسة سوير، كانت تضحك، وكأنها فعلت شيئاً ذكياً.

وقفز دان ويبستر على قدميه

- لقد أسكرت فتاة في التاسعة عشر من عمرها و...

www.elromancia.com

ـ لقد فعلت هذا من تلقاء نفسها. . ومضت ساعة كاملة قبل أن أسمع منها القصة.

ووضع دان يده على كتف ابنته:

ـ هذا ليس صحيحاً. . أليس كذلك يا طفلتي؟ أخبري هؤلاء الناس ما قلتيه تماماً!

وأغلقت لينا عينيها، وبدت وكأنها مريضة، ولم ترد. فقال القبطان:

ـ أرجوك أن تجلس سيد ويبستر. . لقد سمعنا جميعاً شهادة ابنتك

واستدار القبطان إلى مايك

ـ سيد روبرتس، أنا أشكر لك اهتمامك بواحدة من أعضاء الطاقم ونحن فخورون جداً بأمانة طاقمنا. ولم تحدث أية حادثة مؤسفة مثل هذه من قبل. وبصراحة لقد تقدمت مني بقضية صعب البت فيها. . فأمامي كلمتك تجاه كلمة أحد مسافرينا عما قيل ليلة أمس، وهما قصتان متضاربتان. و. . أمامي أيضاً دليل مادي مؤسف. .

فأطرق مايك متجهماً، وقال:

ـ أفهم هذا يا قبطان.

وأخذ القبطان ينظر إلى كل المشاركين واحداً واحداً، وبدا عليه الضيق بوضوح. كان يريد أن يكون منصفاً عادلاً. ولكن اعتراف مايك بأنه أوقع بلينا متعمداً لتعترف، وهذا ما تنكره الآن، من الصعب أن يبرىء موظفة جديدة كان البروش الثمين بحوزتها عندما وجد. وتابع القبطان:

ـ أخشى أنني تحت هذا الظرف، ليس لديّ خيار سوى أن. . .

ـ أريد أن أقول شيئاً!

واسترعت، الجملة المتهدجة بالانفعال انتباه الجميع إلى ايلين ويبستر.

ـ أريد أن أقول شيئاً، هذ ليست المرة الأولى. . .

وصرخ بها دان

ـ ايلين أنت تنقلبين على. . .

ـ هل لديك فكرة كم يؤلمني أن أقول ما أقول؟ هل لديك فكرة كم هو مؤلم أن أقول هذا عن ابنتي؟

وأحنت ايلين رأسها، وجسدها كله يرتجف، ولم ترفع لينا نظرها إلى والدتها، وجلست تحدّق بطرف الطاولة. . وكررت ايلين قولها:

ـ هذه ليست المرة الأولى. . فقد فعلت نفس الشيء بمعلمة العلوم في المدرسة. لقد جنت بأحد المعلمين، وكان هو يحب معلمة أخرى. وكان هناك. . . سبعماية دولار فُقدت من صندوق نادي الطبيعة. ووجدوا المبلغ في غرفة المعلمة. وفقدت وظيفتها. ولم يعد حبيبها يتحدث معها أبداً. وكانت لينا تعرف تفاصيل كثيرة عن كيفية وصول المال حيث وُجد. وزلقت مرة، وتحدثت عن الأمر وعرفت كل شيء ثم حدث نفس الشيء في المدرسة في سويسرا. . .

وتابعت ايلين سرد القصة، وصوتها يتهدج ولم تبدي لينا أي اعتراض. ونظرت إليها جويس ولاحظت أن يديها ترتجفان، ولكن لم يظهر على الوجه الجميل أي انفعال. وتوقفت والدتها عدة مرات لتمسح عينيها بمنديل، وتابعت سرد التفاصيل التي أفرغت فيها لينا غيرتها، عن طريق اتهام أي إنسان يقف في طريق نزواتها الغرامية، حتى بطريقة مجرمة. ولم يعد دان يحتج، وجلس يهز

www.elromancia.com

رأسه من جانب الى آخر ، وكأنما هو لا يصدق أن زوجته تقوم بكشف القصص الحقيرة عن ابنتها الوحيدة.

وكان هذا كثير على أعصاب ايلين، فأغلقت عينيها للحظات ثم تابعت:

- ونحن لم نساعدها، أليس كذلك يا دان؟ نحن نحب لينا، ولكننا لم نساعدها كي تتغير. أنت.. نحن كنا دائماً نكنس قذارتها تحت السجادة، ونتظاهر بأن لاشيء قد حدث.

والتفتت ايلين إلى ابنتها.

- هل تفهمين لماذا كنت الأم «اللئيمة» معك يا لينا؟ أنت ابنتي وأنا أحبك... أحبك كثيراً... ولا أريد أن يحدث هذا ثانية.

هل تبللت عينا دان؟ لقد بدا هذا لجويس. ومع أن هناك شك بأن لينا ذرفت الدموع من قبل، ماعدا في طفولتها، إلا أنها لم تستطع تحمل كلمات أمها المحطمة القلب... فكتلة جليد لوحدها يمكن أن لا تتأثر.

ووقف القبطان على قدميه، وفعل مثله أعضاء الطاقم الاثنين. وقال:

- أظن أنكم مدينون للآنسة سوير باعتذار.. بل منا جميعاً.. وأظن بما ان البروش هو الآن بحوزتكم.. سيدة ويبستر...

وانتهى الأمر، ووافق آل ويبستر على عدم إقامة دعوى، ولم تلتقي عينا لينا بعيني جويس وهي تقول «أنا آسفة»

وبينما كان آل ويبستر يغادرون الغرفة نظر دان إلى مايك، وبدا عليه الخجل.. الخجل والارتباك.. ربما بداية التساؤل عما إذا كان بإمكانهم تجنب هذه الفضيحة والإذلال لو أنه لم يدلل ابنته ويفسدها.

وتوقفت ايلين لحظة وهي تمر امام جويس، ومدت يدها لتضغط على يد جويس:

- شكراً لك.. لأنك أعطيتني القوة بعد كل هذه السنوات.. ولأنك... لأنك كنت صديقة لي.

وكرر القبطان اعتذار لينا لجويس وشكر مايك على اهتمامه.. وعندما وصلت جويس الى سطح السفينة في الهواء الطلق، شعرت وكأنها قد مرّت عبر آلة عصر قديمة الطراز

وربط مايك ذراع جويس وهما يسيران

- لا أرغب في أن أتناول الإفطار مع كل هؤلاء الناس.. ما رأيك بتناوله على سطح السفينة يا جويس؟ نحن الاثنان فقط؟

لماذا ترددت.. إنها مدينة له بكل عرفان للجميل، ولكنها كانت تخاف أن تحبه كثيرا وأن تتألم بسببه، فأجابته معتذرة:

- لا أعرف، ولكن ربما يحتاجني ستيف في العمل معه

وكان هذا أضعف عذر ممكن، فمنذ دقائق لم تكن تفكر بنفسها كموظفة. وقال لها مايك:

- سأغادر السفينة بعد ساعات قليلة، وأريد أن أجلس معك بعض الوقت لوحدنا.

- لقد شعرت بنفس الشعور ليلة أمس.

- حاولت الاتصال بك بعد أن حصلت من لينا على ما أردت. ولكنني اعتقدت أنك لن ترحبي بالمزيد من الرفقة.

- المزيد من الرفقة؟

- علمت أن الدكتور بروك كان عندك

- طبعاً، لقد أتى إلى غرفتي... إنه صديقي.

www.elromancia.com

وتحولت لهجة مايك فجأة إلى المرارة:

- حسناً.. شكراً لك يا آنسة سوير!

- أنا لا أقصد أن أبدو قليلة الامتنان... وأنا مقدّرة لك ما فعلته لي. و...

- لست بحاجة لامتنانك.. لقد قمت بعمل مهني رديء. وزملائي سيضحكون على شهادتي المثيرة للشفقة.

- ولكنك حاولت على الأقل.

- أجل لقد حاولت! كنت مصمماً على أن أجعل لينا تزلق وتعترف بأنها حاولت الايقاع بك. وعندما نجحت لم أكن أريد أكثر من إبلاغك بهذا، ولكن كان عندك كتف آخر لترتاحي إليه.

وأطلق مايك أنفاساً غاضبة:

- لا أستطيع لومك... سأغادر السفينة لأطير إلى سان فرانسيسكو. وأريد أن تعرفي أنني لن أقع في.. حب أية امرأة.. وأنت بحاجة لرجل يقف إلى جانبك عندما أكون قد ذهبت.. وسيكون لك الدكتور بروك...

وثار غضب جويس

- من أين لك الحق أن تقول هذا؟ ألا يكفيني ما مررت به؟ ليس لك الحق ابداً لتكون..

- لأن أغار؟

وكانت جويس تتجه بسرعة نحو أقرب مصعد عندما أوقفتها كلمات مايك فقد صاح بها، وبحزم، عالياً بما فيه الكفاية ليسمعه كل المسافرين المندهشين الواقفين من حولهم.

- لديّ كل الحق لأن أغار! فأنا أحبك! ألا تسمعين ما أقول يا جويس؟ أنا أحبك!

ووقفت جويس مكانها. ثم استدارت ببطء. وأوشكت أن تبكي من جديد، ولكنها كانت قد بكت بما فيه الكفاية.

كان بينهما خمسة أو ستة ياردات، ولكن عيونهما التقت، مختصرة المسافة، تجمعهما معاً. ثم، ترنحت جويس إلى الأمام نحو ذراعي مايك، مرددة كلماته

- احبك!.. أوه يا مايك.. أنا خائفة. أنت أبعد بكثير مما كنت أتمناه لنفسي.. ولكن لتساعدني السماء.. أنا أحبك أيضاً. أحبك من كل قلبي!

ولم يكن هناك ممر أضاءه نور القمر فوق البحر. فقد كانت شمس الصباح تتراقص فوق زبد الموج الأبيض لتكشف عن الخط الساحلي، في وقت كانت «ملكة الكاريبي» تقترب من ميامي.. ولكنها الآن آمنة ودافئة بين ذراعي مايك القويتين، وأمام أنظار كل المسافرين، كانا يتعانقان ثم يتوقفان قليلاً ليمسح لها الدموع من عينيها، ويعود ليمسك بها وكأنه لن يتركها أبداً. وتمتم لها:

- كنت خائفاً كثيراً من الحب.. ولكنني لم أعد قادراً على المقاومة.. أنا بحاجة لك. وأنا أحبك وأثق بك. قولي إنك تحتاجينني أيضاً

ولم ترد عليه، وعبر التصاقها به أكثر أخبرته بكل ما يريد.

- طائرتي تقلع من ميامي عند الرابعة والنصف

- أرجوك أن تبقى على السفينة حتى اللحظة الأخيرة.

- سأبقى هنا ما يكفي لأساعدك على توضيب أمتعتك.

ونظرت جويس إليه، والتساؤل في عينيها. فقال:

- أنت لست ملزمة بتقديم إنذار بترك العمل لستيف ماركوري. عندما قال ليلة أمس إنه لا يشك ببرائتك، كان الرياء يقطر منه كما

www.elromancia.com

يقطر الدم من سكين المجرم.. أنت لست بحاجة لوظيفته، ولا له ولا لأي واحد سواي.

ممر مضاء بنور القمر فوق الكاريبي كان ممكناً أن يكون المكان الأفضل لما قاله مايك فيما بعد. ولكن هنا، تحت ضوء الشمس اللامع، وسط تجمع الركاب والطاقم، ووسط عزف فرقة الموسيقى لاستقبال السفينة على الشاطىء... قال لها..

- أريدك أن تتزوجيني... أريد أن أرعاك ما تبقى من حياتي. أرجوك يا حبيبتي، ودّعي صديقك الدكتور اللطيف. وقولي للسيد ماركوري بأنك تفضلين أن تكوني السيدة روبرتس على أن تكوني مساعدته. وقولي لي أن ألغي رحلتي، وانتظر كي تحزمي حقائبك بأسرع وقت ممكن.. وسنتوقف قليلاً لنرى إذا كان أهلك يوافقون عليّ.. قولي فقط إننا سنكون معاً لما تبقى من حياتنا!

مايك، لديه طريقة خاصة بأن يكون قوياً وصادقاً ومقنعاً في كلامه. إنه محامي لامع. ولكن هذه قضية ليست بحاجة لأن يترافع بها. واصبحت عينا جويس مغشيتان، ولكن الدموع التي ظهرت في عينيها الآن كانت دموع الفرح. ووضعت يدها في ذراع مايك وسارا معاً نحو مكتب مدير الرحلة.

- متى من المفترض أن تقلع طائرتك يا حبيبي؟

- متى كنت مستعدة. ولكن تذكرتي تقول الرابعة والنصف.

واشتد قبضة يدها على يديه، وضغطتهما بقوة:

- لو أنني أسرعت.. وودعت ايدي.. وأعطيت ستيف استقالتي، ورميت ملابسي في حقائبي.. أظن يا حبيبي أنني سأكون جاهزة قبل الثالثة..